obeikan.com

المسبحة

المسبحة
رواية
هاني حجاج
الطبعة الأولي ... يناير ٢٠١٤

رسمة الغلاف : أيمن القاضي
تصميم : أسامة علام
مراجعة لغوية : محمد عبد الغفار

رقم الايداع : ٢٠١٤/٢٢٦٢
ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٦٤١٢-٥٩-٠

الحلم للنشر والتوزيع
٤شارع الأشراف- مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_elVelm@hotmail.com

obeikan.com

روايات الحلم للجيب

المسبحة

رواية

هاني حجاج

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

الرواية مهداة إلى رجل عظيم، وصاحب أهم وأكبر مشروع روائي للشباب في الوطن العربي، لعله الوحيد!
تجربة (روايات مصرية للجيب) المدهشة التي لم تتكرر ، وكان هذا العمل سيخرج ضمن إصداراتها لولا مرضه الأخير ثم وفاته - رحمه الله رحمة واسعة - ونأمل أن تكون هذه السلسلة وسيلتنا المتواضعة ، على سبيل رد الجميل ، في السير على نهج هذا الرجل الذي علّمنا أن نقرأ وأن نحب الكتابة..
إلى روح الأستاذ حمدي مصطفى..

د. هاني حجاج

obeikan.com

تقديم

عندما بدأت في قراءة هذه الرواية استغرقتني بالكامل حتى فوجئت بأذان الفجر وأنا منهمك في قراءة أحداثها التي تبدأ برعب الأيقونات الكلاسيكي ، ثم لا يجد القارئ أي فرصة لالتقاط أنفاسه.. أشعلت هذه المجموعة حماسي وأتمنى إصدارها بشكل خاص يليق بها في روايات مصرية للجيب ، إن شاء الله ، وأدعو لكاتبها بالتوفيق ؛ فهو قطعة قماش أدبية نادرة قادرة على تطويع اللغة والأسلوب والحبكة ليخلب بها ألباب القراء من جميع الأعمار والميول ، لغة سينمائية سحرية لا مثيل لها . وكاتب موهوب بلا جدال، والله ولي التوفيق .

الأستاذ حمدي مصطفى
مدير المؤسسة العربية الحديثة
صاحب مشروع (روايات مصرية للجيب)

obeikan.com

(القسم الأول)
تحت الأنقاض

obeikan.com

obeikan.com

١ - الخوف

- إنه سحر النار!
قلتها متطلعا إلى نيران المدفأة المتوهجة ..
سمعت صوت (شريف) :
- إنها الصورة الحية للأمان ..
- بل الخوف .
قالتها (نهلة) زوجته ، فرد عليها (شريف) :
- هذا ما ترسمه لنا الأفلام والروايات ..
ثم ألقى نظرة ذات مغزى وقال :
- جعلتها رمزا للشرور ..
وشعرت بعينيه تلتقيان على وجهي :
- ما رأيك؟
أفقت من شرودي :
- نعم؟

obeikan.com

أشار إلى المدفأة :
- ما تأثيرها فيك؟
هززت كتفي غير عالم بالردّ المناسب وقلت :
- السحر الغامض .
كان هذا هو شعوري الحقيقي الذي أعلمه.. وأعلم أيضا أن :
- في أعماق كل منا يكمن الخوف الأزلي للإنسان البدائي من النار.. كل منا يخشاها.. ولكن في ظروف متباينة .. فهناك من يهاب منظرها .. ومن يخاف لسعاتها .. رغم كونها نعمة من الله لا يمكن الاستغناء عنها ، إلا أنها الخوف الأوّلي للبشر.. في قصة (السبح في الآلة) يقول الإنجليزي آرثر كيسلر: إن هنالك صراعا في داخل كل واحد منا.. ذلك هو الصراع بين الجذور القديمة والعقلية الحديثة .. الأولى تُحرّك عواطفك .. والثانية تنظم أفكارك .. وأنت حائر ثائر بين الاثنتين .. بمعنى آخر : في داخل كل إنسان غريزة .. طبع يحاول مقاومة التطبُّع ..
بدت علامات عدم الفهم على وجه (نهلة) وفي صوتها وهي تسألني:
- ماذا تعني؟
شرعت أشرح لها:

- يجب أن ينتهي الصراع الداخلي بين الغريزة والتطبُّع إلى نتيجة حاسمة .. فنجد مرضا مثل (البيرومانيا) ، وهو مرض الافتتان بالنار .. وهو هوس أسوأ من الجنون .. ويكون المريض شغوفا بمنظر اللهب .. يفتعل الحرائق لمجرد مرآها ..

سمعت صوت (شريف) الضاحك :

- هل أنت متأكد أنه لا علاقة لهذا المرض بما يحدث هنا في موسم الجرد السنوي؟

ضحكنا ..

واستطردت أنا :

- وعلى عكس هذا نجد مرضى (البيروفوبيا) يهابون النار ؛ فالمصاب بهذا المرض يذعر من أقل شعلة .. وهذا المرض غالبا ما يكون ناجما عن ذكرى أليمة ..

قالت (نهلة) وقد توترت أعصابها :

- لحسن الحظ .. لم أصب بأي منهما .. كل علاقتي بالنار الاستخدامات المعروفة .

قلت وأنا أتناول من يدها كوب الشاي الساخن :

- من العجيب أن الجلوس بجوار النار في الحلم وحي بالطمأنينة في حياتك المنزلية .. وكما يقول (فرويد) :

إشعال النار رمز لسوء تفاهم يوشك أن يزول .. وإطفاؤها دليل على توفيقك في مهمة عسيرة ..

تدخّل (شريف) بمرحه المعهود :

- ليتها تحلم بالنيران دوما!

رمقته في عتاب:

- أيها الوغد..

* * *

والآن.. تعال أعرفك بهذه الأسرة السعيدة ..

هذا هو صديقي المهندس (شريف) .. وهذه هي - كما قلت آنفا - زوجته (نهلة) .. وهما - كما ترى - اثنان في غاية اللطف والرقة .. ودودان واجتماعيان إلى حد لا يُصدّق .. أما ذلك الطفل الذي يشد كُم قميصك في عناد فهو (وليد) ابنهما.. تلك الطفلة التي تكبره بعدة أعوام ، التي تهدهد الجرو الصغير ، وهي تحدق في عينيك بفضول مرعب هي أخته (شيرين) .. وهذا (الشيء) الذي يغوص في مقعده هو.. أنا .. هي زيارة عادية لصديق عمري (شريف) .. وليس لي أن أتوقع أكثر من ذلك ..

obeikan.com

- «.. الجو بارد بالخارج» .
- «.. إنها بداية الشتاء» .
ماذا كنا سنفعل دون المدفأة في الجدار؟! إنه شيء غير مألوف بالنسبة للبيوت المصرية الحديثة .. ولا أذكر أننا رأيناها في أي مكان هنا سوى سراي صالح سليم في الشموع السوداء ، حيث المجرم المجهول يختبئ بسيخ تقليب الحطب الملتهب!
- «.. لكنها فعّالة».
أضفت أنا :
- «وتعطي لمسة غريبة على جو المنزل..» .
- «إنها أبدية.. تماما كالخوف» .
سألني (شريف) :
- ماذا تقصد؟
وكانت إجابتي المعروفة :
- النار .
تنهدت (نهلة) قائلة :
- مرة أخرى .. هذا مرعب .
- الحديث عنها يبعث على الدفء .
- وهل أنت سعيد بذلك؟

obeikan.com

- لست أدري ..

* * *

كانت أمسية سعيدة .. تحدثنا فيها عن أشياء كثيرة .. ولاعبنا (وليد) و(شيرين) وجروهما الصغير .. وعندما عدت إلى منزلي ، والتقيت بفراشي .. غرقت في بحر الدقائق القليلة التي تسبق ساعات النوم الطويلة .. تلك الدقائق التي تأتي إلى خواطرك حاملةً أشياء وأشياء .. أو تتركك تكافح عناء الراحة في خضم الوحدة .. تغبط الصديق المتزوج في عجالة حتى لا يتهمك ضميرك بالحسد ، فتهز رأسك بعنف كمن يلقي عن نفسه قطعة من الجمر .

رأيت (شريف) و(نهلة) .. و(وليد) يداعب الجرو الصغير .. رأيت الطريق البارد الموحش الذي عدت منه .. المدفأة .. النار ..

وعندما نمت كنت متأكدا من أنه سيمر شهر أو اثنان قبل أن أعاود زيارتهما مرة أخرى ..

لكني كنت مخطئا ؛ إذ كان لقائي بهم قريبا جدا و ...

ولم نكن وحدنا ..

obeikan.com

* * *

صوت (وليد) و(شيرين) يلعبان في الحجرة المجاورة ، وثمة رائحة لشيء ما تختلط برائحة الطعام على الموقد ، وبدخان سيجارة (شريف) الذي قال :

- اليوم ١٢ أكتوبر ..

جاءه صوت (نهلة) الحاني :

- الأيام تمضي على عجل .. كأن صديقك كان هنا بالأمس ..

ردد مؤمِّنا على كلامها :

- نعم .. الأيام تمضي .. لا ريب أن الحياة ستكون رائعة، لو كنا نولد في سنِّنا هذا ، ونقترب على مر الأعوام من الطفولة ..

تنهدت قائلة :

- نعم .. عندك حق .. إن الـ...

ثم تذكّرت شيئا .. فنظرت له والبرق يخرج من أذنيها :

- ماذا تعني بـ(سنِّنا هذا)؟

مضغ (فلتر) السيجارة وهو يقول :

- لست أعني شيئا بالواقع ، كـ...

لكنها قاطعته :

- عندما تتحدث عن مسألة السن ، فتكلم عن نفسك يا هذا!

ثم إنها داعبت نهايات شعرها بأناملها في خيلاء :

obeikan.com

- فما زلت صغيرة .. وجميلة ..
أطفأ سيجارته وهو يقترب منها :
- وسأظل أحبك .. حتى لو بلغت عُمر الأهرام ..
غمزت في خبث :
- أيها المخاتل ..
همس :
- أحبك .
همست :
- وهل سيدوم حُبك؟
- (كما ستدوم الشمس.. والبيوت الصغيرة).

* * *

obeikan.com

(كما ستدوم الشمس .. والبيوت الصغيرة).

اليوم هو ١٢ أكتوبر ١٩٩٢م ..

ولم تدم الشمس .. ولا البيوت الصغيرة ..

تزلزلت الأرض ..

الشقوق أصابت الجدران .. والقلوب شقّتها أخاديد .

صبيحة هذا اليوم ، كان كل شيء يشي بالهدوء واليسر وسريان نهر الحياة الهادئ تحت الجسر .. هادئ إلى حد لا يوصف .. وفي بعض الأحياء الشعبية كل شيء كان يملأ الدنيا بهجة وسعادة : صراخ الأطفال .. شجار الصبية .. النكات.. السباب .. كل شيء.

إذا أردت أن تعرف إجابة : كيف يمكن للمرء أن يحيا سعيدا ويموت سعيدا؟ فتعال إلى هنا ..

إلى حيث تجد السعادة الحقة .. الميكانيكي يفقأ عين صبيه لأنه جلب مفتاح ١٤ وليس ١٢ ، أم فلان تتحرش بأم علان على طابور الخبز ، بائع أنابيب البوتاجاز يدمر أعصابك في ممرات ضيقة ، الصهد يقتحم الداخل في جوف ورشة للحديد المطروق ، شمطاء قبيحة كالشيطان توبخ جارة أقبح منها صارخة : (إياك يا أم حماصة أن يعرف مخلوق بما أنوي فعله

obeikan.com

في حماصة!) .

في الظهيرة ، مادت الأرض بأسس البيوت .. تهاوت العروق الخشبية .. وتطاير الغبار .. صراخ النسوة .. وجزع الرجال .. وفضول الأطفال .. والضحايا : (خليل) .. (أم محمود) .. (حسنية) .. (عفاف) .. رحمهم الله.

إذا أردت أن تعرف إجابة السؤال : أيوجد في الدنيا ما يستحق أن نحزن من أجله؟ فتعالَ ها هنا .. تعالَ وتأمل دموع الطفل الذي فقد أمه .. والأسرة التي فقدت عائلها .. والمطحون الذي تهاوى مورد رزقه فوق رأسه .. تأمل البيوت والأحلام المذبوحة على الأرض .. لم تجد من يدفنها ويواريها التراب ..

* * *

عندما تقرأ هذا الكلام، سيكون الكل قد كتب عن الزلزال وتوابعه وضحاياه .. ولجان الإنقاذ .. ومخيمات الإيواء .. والتعويضات .. والتبرعات .. و .. و .. و .. وتكون قد خرجت آلاف الكتب والمقالات التي وضعت هؤلاء المساكين في قالب الميلودراما والتراجيديا السوداء .. وهذا الذي سقطت العمارة فوقه وظل تحتها حيًّا شهرا كاملا - وخرج يفكر مليًّا ، في أن

obeikan.com

يضع اسمه في موسوعة (جينيس) للأرقام القياسية - بعد أن يحصل على تعويض مناسب عن جده المتوفَّى (والله أعلم قبل الزلزال أم بعده) وكأن الحكومة هي التي اخترعت الزلزال .. وهي التي يجب أن تدفع الثمن .. ومن مفارقات القدر أن فلانا مات مع علان .. (كذا) انهار قبل (كيت) .. إلى آخر تلك السخافات التي لا يمكنك ملاحقتها أبدا .. ولا إسكاتها ..

* * *

وجاءت بداية الشتاء الحقيقية .. جاءت لتخمد النيران .. ولتجمد الدمع في الأحداق .. لكنها لم تفعل أي شيء حيال الأمان المفقود ..

الكل نسي .. نعم .. الكل قال: الغد أفضل .. نعم .. شيء من الرتابة عاد .. نعم .. لكن الشرخ في جدار الرضا كان يتسع يوما بعد يوم ..

وتمضي الأيام ..

حتى يجيء هذا اليوم .

* * *

obeikan.com

obeikan.com

٢- مشكلة

اليوم هو ١٢ ديسمبر ١٩٩٢م .
هدأت الأمطار .. لكن العواصف مستمرة ..
نسي الجميع أمر الزلزال .. لكن الحكومة لم تنسَ .. وأهالت على موظفيها أطنانا من الأعمال .. وعلى المهندس (شريف) الإشراف على عمال البحث عمَّا سقط أو تداعى من آثار مصر الفاطمية في الأحياء الشعبية بمصر القديمة وغيرها .. و ..
- لقد انتهيت تماما ..
ابتسمت (نهلة) كعادتها :
- هذه هي ضريبة النجاح .. فهل هذا جزاء ثقتهم بك؟
تمطَّى (شريف) وهو يلعن :
- وهل هذا ثمنها؟ إنهم يريدون قتلي ..
هتفت ضاحكة :
- قتلك؟!

obeikan.com

شرع يتكلم :

- نعم .. إن الـ...

رررررررررررررن!!

جرس التليفون اللعين .. يهز جدران الشقة .. يقتل هدوءها قتلا ..

هرع ليرد مزمجرا :

- أرأيت؟ لا بد أنهم هم .. القتلة ..

ثم إنه رفع السماعة موقنا من مصيبة ..

- «أستاذ «شريف» .. لقد وجدنا شيئا عجيبا!» .

- «عجيب! من يتكلم؟».

- «إنه أنا يا أستاذ «شريف».. «أمين» رئيس العمال» .

- «آه.. «أمين».. ماذا حدث؟».

- «لقد عثرنا على ... كلا .. يجب أن تحضر لتراه بنفسك» .

- «حسنا .. أنا قادم».

سألته (نهلة) في فضول بعد أن أنهى اتصاله :

- ماذا هنالك؟

مط شفته السفلى قائلا :

- إنه رئيس العمال .. يقول إنهم وجدوا شيئا عجيبا .

رددت في دهشة :

obeikan.com

- عجيبا؟!

قال وهو يفتح الباب :

- لا تتوقعي كنز قارون أو مقبرة الإسكندر .. ربما قارورة فخارية من مطبخ ابن طولون يمكنها الانتظار للصباح ، لكنهم بالطبع يجب أن يوحوا بالخطورة طمعا في مكافأة ما .. ألم أقل لك؟ إنهم ينوون قتلي ..

ابتسمت لدعابته لحظة .. وعادت تفكر ..

- ما الذي وجدوه؟!

* * *

- وجدنا هذا .

قالها رئيس العمال وهو يضع أمام عيني (شريف) علبة تبغ معدنية من التي ظهرت في العشرينيات وانتشرت في الستينيات وانتهت في السبعينيات .. أمسكها (شريف) وفحصها من كل جانب ، فلم يجد عبارة تهديد أو رمزا وثنيا أو أي شيء يجعلها غريبة أو غامضة .. وبالتأكيد لم يكن (قطز) يدخن لفافات تبغ من علبة عليها ماركة أجنبية .. فقال في حيرة :

obeikan.com

- ما هذا؟ إنها علبة تبغ عادية .
قال (أمين) في خفوت :
- افتحها ..
من الغباء - بالطبع - أن يعتقد أحد أن الرجل قد أحضر (شريف) من منزله ليلعب معه اللعبة القديمة .. أن يفتح العلبة فتثب في وجهه دمية مخيفة الشكل (كما يعتقد صانعو اللعبة) لأن الدعابة وقتها تعني تشرُّد (أمين) وبداية عهد جديد لبيع البطاطا .
فتح العلبة .. وبمنتهى الحرص .. وللوهلة الأولى ظن أنها فارغة .. إلا أن بعض التأمل جعله يلمح شيئا صغيرا يستقر في قاعها.. هذا الشيء له هيئة وحجم الكبسولة الطبية ، إذا تناسينا ذلك اللمعان الخفيف على سطحها .. وطفق (شريف) يولول ويصرخ لأن :
- هذا هو السبب السخيف الذي ملأتموني رعبا من أجله .. كبسولة وضعها صبي عابث أو شاب مختل في علبة دخان قديمة..
لكن (أمين) أخذ يؤكد أن :
- هذا ما اعتقدنا في البداية .. حتى ...

وصمت لحظة :
- حتى أمسكنا بها ..
عقد (شريف) حاجبيه في قلق وتوتر متسائلا :
- نعم .. وماذا سيحدث عندئذ؟
جفف (أمين) العرق من على جبينه .. وبدأ يلهث :
- هي في يدك .. أمسكها ..
تردد لحظة .. ثم قرر أن يجازف ..
مد سبابته وإبهامه داخل العلبة و ... هنا عقد حاجبيه أكثر ، في عجب لا غضب ، لم تكن كبسولة ملونة أو خرزة ساقطة من عقد عتيق .. عندما رفعها فوجئ بأنها متصلة مع أخريات ذوات لون داكن جدا ؛ لهذا لا يرى الناظر غيرها في الضوء الخارجي ، كانت مسبحة صغيرة قديمة يربط حباتها خيط ضعيف مهترئ ومعقود في أكثر من موضع .
وكادت عيناه تقفزان خارج محجريهما ..
لقد تألقت الحبة الملونة عندما أمسك بها ..
اشتعلت ..
أضاءت بألف لون ، وتقافزت داخلها عشرات الشرارات الكهربية المضيئة ، كأن عدة شموس تم أسرها في هذه

الكبسولة / الحبة / الخرزة / اللغز .
فغر (شريف) فاه .. ولم يجد بُدًّا من أن يعترف :
- إن هذا شيء عجيب فعلا .. بل مُذ ...
هل الصوت الخافت الذي يسمعه حقيقة؟ مستحيل!! إن الخرزة تتأوه .. نعم ، أصدرت أنينا خافتا .. ما لبث أن تحول - بعد لحظات - إلى صرخة صامتة واهنة كحفيف أوراق شجرة عتيقة في فيلم رعب ، كطفل يكتمون أنفاسه بوسادة .
شرع (شريف) يبسمل ويحوقل في سره ، وألقى المسبحة من يده كالملسوع لتستقر في مكانها - في قاع العلبة - مرة أخرى.. ما هذا؟ ما الذي يحدث؟ من أين أتت هذه العلبة ومسبحتها العجيبة هذه؟ والسؤال الأهم :
- ماذا سنفعل بها يا باشمهندس؟
الـ(باشمهندس) لا يمكن أن يقول لا أعرف ، ويكفي ما بدا عليه من بلاهة الاستغراب حتى الآن ، هنا وقد عاد للواقع وبدا من السخف أن يرتبك بسبب لعبة ، قال أول ما خطر بباله :
- ليس هنالك حل آخر .. سآخذها معي .. وغدا أتولى كتابة محضر وإتمام إجراءات الضبط والتوثيق .

ثم دسها في جيبه مستطردا :
- بعدها .. سنقف على حقيقة هذا الشيء .
مسح (أمين) العرق من على جبينه .. قائلا في جزع :
- إنه بسم الله الرحمن الرحيم .. شيطاني يا باشمهندس .. شيطاني ..
حاول (شريف) أن يبتسم .. إلا أنها كانت على الرغم منه ابتسامة متوترة قلقة .. ثم إنها لن تكون مجرد عبارة مذعورة - تلك التي قالها (أمين) .
بل هي نبوءة ..
نبوءة مرعبة ..

* * *

obeikan.com

- «مرعبة فعلا» .
قالتها (نهلة) ثم استطردت :
- وهل ستترك هذه العلبة هنا في الشقة؟
كان (شريف) يجلس شارد الذهن .. يفكر في تلك المصيبة التي حلَّت به .. والتي جلبها بنفسه إلى داره .. وكان عقله يعمل كباب دوّار يبحث عن حل .. في البداية فكر أنها

مسئولية كبيرة فعلا أن يتركها بين العمال ، إنه بطبيعة الحال يعرف طبيعة الآثار ، وهذه عجيبة ليست قديمة جدا ، لكنها كذلك ليست حديثة ليهملها ، وما رآه هو ورئيس العمال لا يمكن معه أن يتجاهل الموضوع ، لكن هذا كله كان يمكن تجاوزه بسهولة بتحرير محضر فوري وتحريز العلبة . يعترف في قرارة نفسه أن الفضول غلبه وتحداه وكان مما ليس منه بد .
عادت (نهلة) تقول :
- ألقِ بها خارجا .. الله أعلم ما الذي يمكن أن تفعله .
ابتسم بركن فمه - على الرغم من الموقف - قائلا :
- وما الذي يمكن أن تفعله؟ ستنفجر مثلا؟!

غمغمت في توجس :

- ربما .

اتسعت ابتسامته وهو يشيح بوجهه .. لقد سحرته الخرزة العجيبة!

عاد الصمت المتوتر يغلف المكان .. وعادت (نهلة) تطرقه بعباراتها القلقة :

- هل أنت مُصر على أن نبقى وهذا الشيء معنا؟

أشعل سيجارة وتأمل شعلتها المتوهجة لحظة .. ثم أجاب :

- اطمئني .. لن نكون وحدنا .. لقد طلبت من أحدهم أن يأتي .

سألته في دهشة :

- ومن يوافق على عرض كهذا؟

قال في بساطة :

- لقد وافق ..

سألته في دهشة أكبر :

- ومن يكون هذا المعتوه؟

* * *

obeikan.com

«أنا؟!» .. صحت بهذه الكلمة التي أودعتها كياسة تخفي الحنق وسخط من جاء على مضض في هذا البرد .. (ولماذا أنا بالذات؟ ثم ، ما هذا الشيء العجيب الذي أحضرتني من أجله؟) .

- أولا : لأنك صديقي المثقف الذي يفهم في أشياء كثيرة ، لا يجوز أن أتحمّل الصداع الذي تجلبه عليَّ ثرثرتك المتفلسفة في كل شيء ، ثم إذا جد الجد لا أجدك . ثانيا : أنا لا أعرف سواك والأصدقاء وقت الشدة ، لو عثرت على كنز سأغادر البلاد ولن أترك لك عنواني ، أما وقد وجدت أمرا مريبا يوحي بالمصائب فأنت ضيفي العزيز!

دخلت علينا (نهلة) وهو يقول :

- اليوم.. في أثناء تنقيب العمال عثروا على شيء غريب ..

قلت وأنا أحكُّ عنقي :

- بردية؟ أيقونه أثرية مثلا؟

جفف عرقه في عصبية قائلا:

- كلا ، ولو حدث لسلمتها للمصلحة أو بعت روحي للشيطان وسلمتها لتجار الآثار .. إنه شيء يخرج عن دائرة المنطق تماما ..

قالت (نهلة) مقاطعة :
- حدثه عن الخرزة ..
خرزة؟!
لم أعهد بهما الجنون قط .. على الأقل ليس بالقدر المسموح به لرجل وزوجته!
قلت وأنا أحك ذقني :
- (شريف) .. للأسف ، لست بقارئ أفكار .. فلماذا لا تدخل في الموضوع مباشرة؟
شرع يتكلم :
- إنها ...
ونادى ابنته :
- (شيرين) .. أحضري العلبة من على التليفزيون .
تركت (شيرين) الجرو مع (وليد) وأحضرت علبة معدنية صغيرة لا يميزها سوى خاتم مطبوع بحروف فرنسية ممسوحة لماركة سجائر (لو سافار) ، أخذها منها بحذر ورهبة ثم ...
لا داعي لأن أذكر لك ما حدث بعدها .. غرقت لثوانٍ في انبهار وتعجب ، ثم أغرقت المسبحة في نظرات الدهشة ، ثم أغرقت الجميع في نظرات متعجبة .. سألته :

obeikan.com

- ما هذا يا (شريف)؟

لم يجب .. كان سؤالي غبيا في الواقع ، ثم إنني سألته سؤالا أغبى :

- ولماذا تتوهج هكذا؟

انفلت الزمام - وأنا أعذره - فغمغم في قنوط :

- هل تسألني؟ لو كنت أعلم لما أرسلت إليك .

حاولت تهدئته :

- اهدأ يا (شريف) .. احك لي الحكاية من بدايتها .. أين عثرتم على تلك العلبة؟

شرح يحكي لي حكاية أشبه بقصص (جيلمور) الغامضة ، عن هذا الشيء الذي وجدوه تحت أنقاض بيت قديم متهدم في أحد الأحياء الشعبية .. إلى آخر تلك الحكاية التي عرفتها سابقا .. قلت وقد بدأ الموضوع يروق لي :

- لو أننا في واحدة من قصص إدجار آلان بو فلا ريب سنجد رسالة خفية .. أو شفرة خاصة .. أو أي شيء من هذا القبيل ، في مكان خفي في العلبة ..

ردد (شريف) في بلاهة :

- مكان في العلبة؟!

obeikan.com

قلت في بساطة لا أثر للافتعال فيها :
- نعم .. فتحة خفية .. قاع مزدوج مثلا .. درج سحري .
وكرد فعل طبيعي ، أخذ يعابث سطح العلبة من كل جانب و .. رفع رأسه إلى (نهلة) - التي كنا قد نسينا كل شيء عنها - ثم إليَّ متسائلا :
- هل أنت متأكد أنك لم ترَ العلبة من قبل؟
حمدا لله .. لم أعد وحدي من يلقي الأسئلة الذكية .. بم أجيبه؟
- سؤال غبي يا (شريف) .
لم يبد عليه أنه سمع عبارتي ، لكنه لوّح بورقة مطوية في يده ..
- «كانت في قاع العلبة .. تحت القاع الأصلي الذي يبدو أنه الفاصل بين التبغ وورق البفرة .. كما قلت تماما» .
شعرت بالتوتر للحظة، الورقة مطوية بعناية شديدة وتبدو شفافة أو هي حزمة من ورق لفافات التبغ مكتوب عليها بخط رفيع جدا وبحبر قديم ، وبعد ثوان كالدهر مضت قلت :
- «افتحها» .

obeikan.com

حاول أن يفعل .. وبكل دقة .. محاذرا أن تتقطع الورقة .. بالأصح كانت عدة أوراق كما لمحناها في البداية ، أكثر وأطول مما كنت تبدو عليه ، حتى إننا استغربنا من كيفية وضعها في قاع العلبة الضيق .. دون شك وضعها صاحبها في هذا المكان ، ليخفي سرا ما .. أو باعثا برسالة .

- (شريف) .. لماذا لا تقرأ الورقة؟

- وهل تظن أن بها ما يُقرأ؟

- بالتأكيد .. ولماذا يتعب أحدهم نفسه بلا سبب؟ ثم إن السطور ظاهرة من هنا .

ارتبك وقال بتلعثم :

- أخشى أن ...

قلت مطمئنا :

- اطمئن .. لن يقفز منها أي غول .. صدقني .. رمقني في تشكك ..

بالله عليك يا أخي! هل ترى أن الموقف يحتمل أي ذرة توتر أخرى؟

ساد الصمت الغرفة (عدا صوت الطفلين يلعبان مع الجرو و(نهلة) تداعب يد المقعد)..

obeikan.com

«إنها رسالة» .
وبدأ يقرأ ..

* * *

obeikan.com

obeikan.com

٣- كابوس

«أكتب هذه الرسالة للقادم بعدي.. وقارئ كلماتي - أيًّا ما كانت جنسيته أو ديانته أو نوعه - إذا فهم اللغة المكتوبة بها، فعليه أن يحاول منع هذا الكابوس الذي سيجثم على صدر البشرية ، والخطر الداهم الذي سوف يحيق بالإنسان في كل زمان ومكان .. وهذه الرسالة قد يقرؤها من بعدي رجل في القرن الحادي والعشرين أو امرأة بعد ذلك بعدة قرون .. وربما طفل .. المهم أنه هناك من سيقرؤها ، علّي بهذا أكفر عن الذنب الذي اقترفته دون سوء نيّة في حق الأرض وفي حق البشرية .. لقد أخرجت من القمقم شيطانا .. شيطانا رجيما .. هو لا يتبع قوانين معروفة ، ولا يعترف بها .. هو كائن له ألف وسيلة ، وألف دستور ، وألف شعلة .. هو من النار كان ، ومن النار يكون ، ومنها سيكون .. إذا أردت قهره ، فلا تحاول أن تلجأ للمنطق بتاتا .. إنه الشر ذاته .. إنه

الكلمة الخبيثة ، والحقد في الأحداق .. والغل في العيون.. إنه المرارة في الحلق .. إنه كل شيء وحشي جهنمي .. إنه النار.. هي كيانه .. وبيته .. ومحرابه .. إنه منبوذ .. وحقير .. له مائة طريق .. وألف شكل .. ومليون هيئة .. يعلم ما الذي تفكر فيه .. يعلم كيف يقهرك .. يعلم كل شيء .. سيدي .. أو سيدتي قارئة الورقة .. سأحكي كل شيء من البداية ..

* * *

حدث هذا منذ عام .. كنت مراسلا صحفيا للأخبار السياسية.. وفي هذا الوقت كانت الجبهات السياسية ملتهبة في مصر ؛ فقد حدثت جريمة في مصر الجديدة اهتزت لها الحكومة المصرية وقتئذ ، وكادت الحكومة البريطانية تفقد أعصابها ، واهتزت الأرض تحت أقدام جميع المسئولين في مصر ، خاصة بعد أن احمرت أعين قواد الجيش البريطاني في الشرق الأوسط. كان بعض الضباط الإنجليز وضباط السلاح البريطاني وبعض ضباط سلاح الطيران يقطنون بمسكن أنيق في مصر الجديدة.. ورأى بعض اللصوص فيهم صيدا ثمينا ، فتسللوا إلى المسكن ، ثم غادروه بعد أن قتلوا أصحابه الإنجليز .. واهتزت أسلاك البرق في مصر ، وأرعدت السماء في لندن ،

سخطا وغضبا،
واشتدت ضربات قلوب رجال البوليس المصري ، واستعد رجال (اسكوتلانديارد) للحضور إلى القاهرة ، كما سارع رجال قلم مخابرات الجيش البريطاني إلى العمل .. وهكذا نشبت الحرب الصامتة بين المصريين والإنجليز ولازم اللواء رسل باشا، حكمدار القاهرة ، مكتبه ، بينما ظلت المعركة الشعواء دائرة.. ذلك كان عام ١٩٤٣.

* * *

لم أكد أتقدم خطوة واحدة في بهو المسكن الأنيق الذي يقطن به السياسي الشاب الدكتور محمد هشام ، حتى توقفت فجأة وقد اعترتني الدهشة .. وتلفتُّ يمينا ويسارا ، ثم تطلعت إلى وجه الدكتور محمد هشام فلم أجد إلا ابتسامة بريئة هادئة ، طالما وقفت أمامها حائرا عاجزا ..
وعادت نظراتي إلى اليمين وإلى اليسار ..
وتحولت نظرات الدهشة في عيني إلى نظرات رجاء وتوسل .. ولقد تبخرت من ذهني جميع الموضوعات السياسية التي أردت أن أتحدث فيها من قبل ..
ولم يعد يهمني إلا أن يستجيب الدكتور محمد هشام إلى

نظراتي المتوسلة ، ويفسر لي المشهد الذي رأته عيناي! لقد فوجئت برؤية مجموعة ضخمة وفاخرة من المسابح الأنيقة ، وقد وُضعت في عناية وترتيب جميل .. وسُلطت عليها الأضواء فزادتها بهاء وروعة .. مسابح من جميع الألوان والأحجام.. هذه المسبحة من الهند .. والأخرى من قرية باريسية .. ومن سيلان والسودان وسيام .. وهذه من الكهرمان الفاخر .. وتلك من الزبرجد الأصلي .. وهذه يعجز عن حملها رجل واحد .. وهذه دقيقة أنيقة تنساب حباتها بين الأصابع في يسر ونعومة .. مشهد غريب .. ومرت الدقائق وأنا أستعرض في ذهني شريطا سريعا لماضي الدكتور محمد هشام المليء بالأحداث السياسية .. وحاولت أن أجد صلة واحدة تربط بين عمله كمحامٍ أو كوزير سابق أو لاحق ، وبين اقتنائه لهذا العدد الضخم من المسابح .. فلم أجد .

ويبدو أن منظري وأنا أتطلع مأخوذا إلى المسابح كان يُرثى له ساعتئذ، فأشفق عليَّ مضيفي ، وقال :

- إنني أعذرك .. فوالد زوجتي يعتقد أن ما أفعله ضرب من الجنون .. لكنها هوايتي التي ابتُليت بها منذ عشرة أعوام .. وقد كلفتني هذه الهواية آلاف الجنيهات ، فهذه المجموعة

تساوي خمسة آلاف جنيه ، لكني لا أستطيع أن أقاوم رغبتي في الإكثار منها والعناية بها .
وابتسم الدكتور محمد هشام ونحن نشرب الشاي :
- رحم الله (النقراشي) باشا وسامحه .. فقد كان السبب في هذه الهدايا ، التي كلفتني الآلاف من الجنيهات .
وعادت نظرات الدهشة إلى عيني ، وقبل أن أفتح فمي متسائلا قال :
- كان ذلك منذ عشرة أعوام - وبعد أيام قليلة من زواجي - وقد التقينا في منزل الدكتور عبد الرزاق السنهوري .. وكانت أمسية سعيدة .. وكان هناك الكثير من الثرثرة والأحاديث السياسية والدعابات المرحة .. وفي نهايتها مد المغفور له - (النقراشي) باشا - يده إلى جيبه .. ثم أخرج مسبحتين جميلتين .. إحداهما من الكهرمان الأحمر ، والأخرى من الكهرمان الأصفر .. ووسط عبارات الإعجاب ونظرات الانبهار .. طلب مني (النقراشي) باشا أن أختار مسبحة من بينهما :
- ويمكنك اعتبارها هدية الزواج .
مستحيل .. لا يمكنني أن أصدق .. إحداهما ستكون لي .. هذا بديع .. لكني :

- أعتذر عن البدء في الاختيار ..
وتمسكت بأن يبدأ أستاذنا الفاضل الدكتور (السنهوري) بانتخاب التي تروق له .. فوافق (النقراشي) باشا ..
وكانت المسبحة الحمراء من نصيبي ..

* * *

(كتمت سروري وقتئذ لحصولي على المسبحة الأكثر أناقة ، والأعظم قدرا .. ولم أكن أدري وقتئذ أن هذه المسبحة ستكون بداية هواية تكلفني هذا الجهد وهذا المال .. كان انتصارا مؤقتا على أستاذنا الدكتور (السنهوري) ، ولكنني لا أنساه).

واستطرد :

- وكيف يمكن أن أنسى؟ فكلما اشتريت مسبحة ، تذكرت المسبحة الأولى .. مسبحة (النقراشي) باشا .

ودفعني الخبث إلى أن أقول :

- وهل جميع هذه المسابح من مالكم الخاص؟

ضحك دون أن يجيب .. لكن الجواب كان واضحا ..

ثم إنه ترك كوب الشاي على الطاولة ، ذاهبا إلى ركن المسابح

إياه .. وبالطبع قمت خلفه ..
وبينما كان يتأمل مسابحه .. شاعرا بالفخر بنفسه ، وبالرضا عن دنياه.. كنت أنا أقف وأحترق.. شاعرا بالسخافة.. فقررت أن أقول شيئا.. أي شيء :
- دكتور (محمد).. لقد سمعت - دون شك - عن فضيحة رئيس الوزارة.
فعلت كلماتي فعل السحر معه ، فنسي كل شيء عن مسابحه والتفت إليَّ محتدا ، بالطبع ، كيف لا ينسى كل شيء ، وأنا أحدثه عن..
- (إسماعيل صدقي).. عدوي اللدود؟!
هززت رأسي أن نعم..
- لقد كنت أنا كاتب المقال.. ألم تقرأه؟
قال في لهفة:
- كلا.. لقد عدت اليوم من (باريس).. ماذا حدث؟
شرعت أتكلم:
- لقد...
إلا أنني ناولته الجريدة:
- الأفضل أن تقرأ المقال بنفسك.. هنا.. في نهاية الصفحة

الأولى.. نعم هو ذا..
مضى بعينيه يلتهم السطور ، ثم إنهما برقتا في وحشية:
- مستحيل.. إسماعيل صدقي عشيق أرملة (السكاكيني)!
قلت شارحا:
- نعم.. لقد كان يذهب إليها يوميا بعد منتصف الليل ، مرتديا الروب..
- روب؟
- ذلك لأنه كان ينتظر في داره بالزمالك حتى تنام زوجته ، ثم يسرع إلى سيارته يمضي الساعات الأولى من الفجر بين أحضان عشيقته.
ازدادت عينا دكتور (محمد) تألقا وهو يسألني:
- و... وكيف انفضح الأمر؟
وضعت أوراقي جانبا وقلت:
- إنها قصة طويلة نوعا.. هل لديك استعداد لسماعها؟
كنت أحدثه عن مصيبة على رأس خصمه العنيد.. إذن فـ :
- بالطبع لديَّ استعداد لذلك..
تنحنحت منظفا حلقي قبل أن أقول:
- ما إن عرف نمر السياسة - (صدقي) باشا - أرملة

obeikan.com

(السكاكيني) ، حتى أسرع يضع سلطانه تحت أقدامها.. وفي إحدى لياليها معه - وبعد دلال استمر لحظات - قالت له إنها تريد القيام ببعض الإصلاحات في قصرها ، لتعيده إلى رونقه وبهجته.. لكن المقاول الذي اختارته طلب منها خمسة عشر ألفا من الجنيهات.. بعدها أسرع رئيس الوزراء بتكليف عدد من رجال البوليس بالبحث عن هذا المقاول ، واسمه محمد حسن العبد.. واستطاعوا العثور عليه.. وبعد أن زار هذا المقاول (صدقي) باشا في منزله ، أسرع إلى قصر المرحوم (السكاكيني) ولم يخرج إلا بعد أن وقّع الاتفاق على إصلاح القصر في مقابل خمسة آلاف جنيه فقط ؛ ذلك أن (إسماعيل) باشا نجح في إقناع الملك (فؤاد) بالإنعام برتبة البكوية على محمد حسن العبد.. لفت هذا الحدث الأنظار.. خاصة الأعين الفضولية والحاقدة التي اندست في الموضوع ، حتى فضح الأمر..

ثم الجملة التي أريدها:

- وكما قلت آنفا ، أنا هو كاتب المقال.. ولولاي لما كانت تلك الضجة الإعلامية.

تألقت عيناه وهو يقول:

- إنك تستحق مكافأة خاصة..
وتألقتا أكثر وهو يردف:
- خاصة جدا.
ثم إنه أزاح ركنا من اللوحة التي تعلقت عليها المسابح ، وأخرج علبة زجاجية شكلها غريب..
- ما هذه؟
تألقت عيناه لحظة..
ثم ابتسم في غموض..

* * *

ماذا تتوقعون أن تكون؟ نعم.. مسبحة أخرى.. لكن هذه تختلف.. تختلف تماما!
في الشكل.. واللون.. وكل شيء.. والأغرب من هذا ثمة أحاسيس وانفعالات غريبة تراودني كلما حاولت لمس هذه المسبحة.. وشيء آخر (لا أدري إن كان حقيقيا أم لا).. يخيَّل إلي عند لمسها أن سطحها يتشكل تحت ضغط أصابعي..
ربما كنت واهما..
كانت جميلة ، رائعة ، رفيعة الذوق..

obeikan.com

وغريبة.. غريبة إلى درجة لا تصدق!!

* * *

صارت حياتي بعد ذلك اليوم جحيما.. ربما كنت أبالغ قليلا.. لكني ، لسبب لا أعرفه ، أشعر في كل لحظة بأني أريد أن أرى المسبحة وألمسها بأصابعي.. حنين غريب.. لشيء أكثر غرابة وأراه لأول مرة.

* * *

obeikan.com

obeikan.com

E- الجحيم

عندما عدت من الجريدة ، في هذا اليوم، طفقت أبحث عن المسبحة كالمجنون ، وذلك الإحساس الغامض في أعماقي ما انفك يراودني حتى اللحظة و... وأخيرا وجدتها.. كم هي رائعة.. رائعة.. إن بها شيئا جذابا إلى درجة الجنون..

ررررررررررن..

دق جرس الباب.. ترى من يكون؟! أغلقت العلبة الزجاجية في سرعة ، وتركتها على طرف المائدة وشرعت أفتح الباب.

- آنسة (ابتسام).. ما الذي...؟

كدت أسألها عن سبب قدومها ، عندما أدركت - في اللحظة المناسبة - أن هذا ينافي كل ما نعرفه عن أصول اللباقة والترحيب.. خاصة أنها جارتي التي تسكن في الشقة المقابلة لشقتي.. ولكن.. ماذا تريده في هذه الساعة؟!

- أريد أن أخبرك بشيء يا أستاذ (يوسف)..

هززت رأسي متفهما:

obeikan.com

- آه.. بالنسبة لبحثك في (المفضليات والروميات) فـ...؟
هزت رأسها نفيا:
- كلا يا أستاذ (يوسف).. ليس بشأن هذا البحث.. هناك شيء آخر..
عقدت فيما بين حاجبي سائلا إياها:
- شيء آخر؟ ما هذا؟
حاولت أن تقول في تردد:
- شقتك يا أستاذ (يوسف)..
ابتسمت في حرج قائلا:
- آه.. الإيجار.. لقد أخبرت والدك أن...
مرة أخرى:
- كلا.. ليس الإيجار..
سألتها في دهشة:
- ماذا إذًا؟
قررت أن تقول أخيرا:
- شقتك يا أستاذ (يوسف).. هناك أشياء غريبة تحدث في شقتك!

* * *

obeikan.com

أشياء غريبة؟! ما معنى هذا؟ لصوص.. فئران.. أو...؟
- عفوا يا (ابتسام).. ماذا تعنين بـ(أشياء غريبة)؟
قالت في شرود:
- لست أدري حقا.. ثمة جلبة وأصوات لشيء زجاجي يتهشم..
رمقتها في دهشة وهي تستطرد:
- اعتقدت في البداية أنك اقتنيت قطا أليفا مثلا ، هو سبب هذا العبث.. لكن عندما تذكرت أنك تكره القطط والحيوانات عموما ، نفيت هذه الفكرة تماما..
- أصوات في شقتي؟! ربما هي الفئران يا آنسة (ابتسام).. تعلمين أنني لا أجد وقتا لمكافحتها..
هزت رأسها نفيا ثم قالت بثقة:
- ليست فئرانا يا أستاذ (يوسف).. أنا متأكدة.. إنها لا تُحدث مثل هذا الصوت أبدا!
هذا الغريب فعلا..
- لعلها الـ...
(ابتسام).. يا (ابتسام)..
- بعد إذنك يا أستاذ (يوسف).. والدتي تنادي..
عدت مرة أخرى إلى شقتي.. وإلى المسبحة..

لكن.. ما تلك الجلبة التي ذكرتها (ابتسام)؟ لن أرهق عقلي بالتفكير.. لا يوجد زجاج محطم هنا ، لعلها تهلوس أو تخترع حجة لفتح موضوع آخر فأتلفت أمها خطتها الصغيرة.

كم هي فاتنة.. هذه المسبحة..

كنت أرى انعكاس الأضواء على حباتها الحمراء اللامعة.. إنها أجمل من كل مجوهرات الملكة (نازلي) وقصر (أتاتورك).. وأروع من كل كنوز (تاج محل) و(اللوفر).. كنت أرى حباتها تنساب في يسر ونعومة بين أصابعي..

لكن..

لست أدري.. خُيل لي للحظة أن شيئا يلتمع داخل إحدى حباتها.. ليس انعكاسا.. وإنما أشبه بشرارة كهربية صغيرة جدا..

هذه المسبحة غريبة.. ووراءها - بالتأكيد - سرها..

ولا بد أن أكشفه..

* * *

لا شيء في المسبحة..
وربما كل شيء في العلبة الزجاجية الخاصة بها..
تركت المسبحة على المائدة ، وشرعت أتفحّصُ العلبة من كل جانب.. لا شيء مميز.. لا شيء غير عادي.. علبة عادية ذات زجاج معتم ، لها بطانة من المخمل الأحمر.. ولا شيء آخر.. ربما هو تحت تلك البطانة.. حاولت أن أرفع تلك البطانة بأظافري.. ووجدت ما أنشده : كارت صغير أنيق، عليه عبارة قصيرة كُتبت بفرنسية رشيقة..
يا للخسارة.. لا أجيد هذه اللغة.. لكن لا يهم.. إنها عبارة إهداء أو إطراء أو أي شيء من هذا القبيل.
دسست الكارت في قلب كتاب ضخم ، وعندما رفعت عيني إلى حيث المسبحة.. كان شيء عجيب يحدث..
ثمة لهب صغير - كلهب عود الكبريت - يخرج من إحدى حبات المسبحة.. وكان اللهب الصغير ينمو ويزداد في سرعة..
في هذه اللحظة.. كان (هو) يتجسّد أمامي!!

* * *

obeikan.com

obeikan.com

(القسم الثاني)
حارس مملكة الظلام

obeikan.com

obeikan.com

- ربما يعود

مرت لحظة.. صمت (شريف).. وظننا أنه يلتقط أنفاسه.. حتى صارت اللحظة لحظات.. وثواني.. فقلت في نفاد صبر:

- ماذا دهاك يا (شريف)؟ لِمَ لا تكمل القراءة؟

قال لي (شريف) مفسّرا:

- لقد صار هذا متعذرا.. انظر..

إلى حيث السطر الأخير في الرسالة.. وبعده كان هناك جزء ليس بالصغير محترق في الورقة.. وتعود للالتحام.. وثقب آخر.. واثنان.. وشرخ في نهاية الورقة.. ثم تتلف بقية الرسالة.

- ماذا سنفعل الآن؟

- أيمكنك أن تقرأ الأجزاء غير المحترقة؟!

نظر لي في حيرة.. ثم غمغم:

- لكننا لن نفهم شيئا.. ستكون مجرد عبارات متباينة.. هذا حقيقي.. لكن..

obeikan.com

- سنحاول أن نفهمها..

فشرع يقرأ :

- (.. إنه خلفي.. يتبعني في كل مكان.. إنه يريدني.. يريدني).

(.. مستحيل.. لن تستطيع أن تهزمني.. أنت شيطان حقير).

(علمت (ابتسام) أي كابوس أعيشه.. إنها لا تصدق.. لكنه حقيقي.. ويتبعني في كل مكان).

(لن تخدعني.. كما خدعت الكثيرين من قبلي).

(لقد أعددت العدة لكل شيء.. عرفت أين أختبئ.. إنه مكان لن يخطر على بال.. ولا يمكن توقعه).

(إنه يريدني.. يريد روحي.. لكني عرفت كيف أجعله يعود إلى سجنه.. إنه حقير.. هل تعرفون ما حدث لـ(جان دارك)؟).

(لقد انتهى.. لكن.. ربما يعود).

(.. أقول لكم : ربما يعود).

إمضاء الصحفي محمد يوسف.

* * *

نظرت (نهلة) إلينا.. ونظرت أنا لـ(شريف).. ونظر (شريف) إليَّ :

- هل فهمت مَن كان يعني هذا الصحفي؟

تقلص وجهه وهو يقول:

- أظن ذلك.

- إذًا فهو..

- هو وحده الذي يريد الأرواح.

* * *

نطلق عليه أسماء : (حارس مملكة الظلام).. (رئيس الشياطين).. (الحية الخبيثة).. بينما أطلق على نفسه أسماء : (رئيس هذا الدهر).. (سيد العالم).. (إله سلطان الهواء).. (رئيس الدنيا).. وفي الديانة المسيحية كان من أسمائه : (الخصم).. (الشرير).. (المجرّب).. (المشتكي).. وكذلك (بليعال) (أي الدناءة والتفاهة).. (بعلزبول) ، والكلمة مأخوذة من (بعل ذيوب) ، الاسم الذي أطلق أصلا على إله الذباب الذي عُبد في (عقرون).. ثمة اسم آخر - هو تحريف لكلمة (نجمة الصبح) - الزهرة التي احترقت عقابا على غرورها..

obeikan.com

الذين قرأوا رائعة الفرنسي موريس ليميه يعرفون اسمه اللاتيني جيدا..
نعم.. إنه هو..
سارق الأرواح..
(لوسيفر)..

* * *

والآن..
لقد قرأ (شريف) أمامك الرسالة..
لا داعي إذًا أن أقول لك إن معنا شيطانا في المنزل..
شيطان بمعنى الكلمة..
مقهور ، مذلول ، داخل سجنه الذي اعتقدناه..
- إنها إحدى حبات المسبحة القديمة ، أو إن هذه هي المسبحة نفسها.. كما فهمنا من الرسالة..
عبثت بأصابعي.. وقلت:
- هو بداخلها مهزوم ؛ إذ لم يستطع - كما تقول الرسالة - أن يحصل على روح ذلك الصحفي..
- وهذا يعني..

obeikandl.com

- أنه - لو تحرر من سجنه - فسيسرق روح واحد منا.. هذا حتمي.

صرخت (نهلة).. وهنا - أخجل من الاعتراف - كان الرعب قد جعل شعر قفاي منتصبا ، وهذا هو الحال مع (شريف) بالطبع.. بالنسبة لـ(نهلة) فيمكنها أن تشهق فزعا.. تبكي.. تصرخ.. حقها الطبيعي - كامرأة - أن تفعل.. أما أنا و(شريف) فيجب أن نظل ثابتين، ولو خرج هذا الشيطان من مكمنه، فسنناقشه في هدوء كأي سيدين مهذبين..

- لكن هناك أملا..

صاحت (نهلة) ممتقعة الوجه :

- أمل؟ ماذا تعني؟ تتكلم وكأننا قد سقطنا في جهنم ، وما من مخرج..

وكأن الموقف يحتمل المزيد.. قلت :

- هذا ما حدث بالفعل.

تجاهلتني وقالت لـ(شريف) (وكانت قد انتهت تماما):

- ستتخلص من العلبة اللعينة.. لا جدال هنالك..

بالطبع.. لم تكن هناك أي ذرة من التردد تلوح لأي منا.. لكن كيف؟!

- الحل الوحيد - قال (شريف) - أن نبلغهم بدفنها ، لقد وجدوها وعرفوا أنها معي ولا يمكن أن أتخلص منها بنفسي.
ربما كانت هذه فكرة صائبة.. لكن..
- من سيصدق قصة المسبحة هذه؟
زفر زفرة حارة.. وقال:
- سأدفنها بنفسي إذًا..
لا يوجد حل آخر.
- هيا بنا.
شرع يفتح الباب لنخرج ، لكن..
- الباب موصد من الخارج ، ولا أعرف كيف.
قلت في ضجر:
- أنت سخيف.. اجذبه بقوة أكبر.. أسرع..
حاول.. ولم ينجح.. القصة دائما هكذا.. في أصعب المواقف وأحرجها.. هنالك دائما ما يؤخرنا لنسقط في الفخ بكل يسر وسهولة.. هناك شيء ما في الأمر.. حتى (نهلة) شعرت بمشكلة ما (ولم تكن في حاجة إلى هذا بالمرة) هي مرتبكة ومرعوبة من قمة رأسها حتى أخمص قدميها..
وضع (شريف) العلبة على طرف (البوفيه) وأمسك (طبلة)

obeikan.com

الباب بكلتا يديه وجذبه نحو.. لكن.. بلا جدوى..
غمغمت أنا في قلق:
- (شريف).. لو أننا...
صرخة رفيعة انطلقت من حلق (نهلة)..
صرخة جعلتني أبتر عبارتي ، وألتفت - أنا و(شريف) - إلى حيث تقع عيناها.. على البوفيه..
الجرو الصغير يعوي.. وكنا نتوقع ما سنراه..
نعم.. لهب صغير يتكون فوق العلبة المعدنية..

* * *

obeikan.com

obeikan.com

٦- اللهب

التصقت (نهلة) بالحائط جوار طفليها في رعب ، بينما هتف (شريف):

- (لوسيفر)..

- إنه يتكون.

وكان اللهب يخرج بهيئته عن كل قواعد الطبيعة ؛ إذ يزداد بسرعة مذهلة ، وتظهر آثاره عندما يحترق طرف البوفيه.. واندلعت النيران في كل مكان.. وبالطريقة نفسها.. كان لهب صغير يتكون على طرف السجادة ، ما لبث أن أصبح شعلة هائلة صعدت الجدران والتهمت الستائر.. وسط نظرات (شريف) الدهشة ، وصرخات (نهلة) التي احتضنت طفليها.. وحيث أدمدم:

- (شريف).. لقد ذكر الصحفي اسم (جان دارك)..

- هل ذكر هذا؟

ابتلعت ريقي في صوت مسموع وأنا أقول:

obeikan.com

- نعم.. ولقد فهمت ماذا كان يعني؟
سألني:
- ماذا؟
أجبت الإجابة الرهيبة:
- تماما كما فعل معها.. سيحرقنا.
تجاهل (شريف) دروس التاريخ التي ألقيها ، وأخذ يحاول فتح باب الشقة في هيستيريا.. لقد أتت النيران على كل شيء في صالة منزله.. وكانت تترك الشيء رمادا ، وتزحف لتلتهم شيئا آخر..
والتصقت (نهلة) مع طفليها بالحائط.. وبدأ الجرو مصدوما حائرا ، فلم يعد يجرؤ على النباح.. والعجيب أن (وليد) و(شيرين) لم يصرخا أو يبكيا أو يفعلا أي شيء.. كانا هادئين تماما.. لكنهما يرتجفان.
كانت النيران تنتشر في سرعة ، وتكوِّن حلقة تضيق باستمرار حولنا.. وكان الوضع كفيلا بأن يحطم أعصاب أقوى الرجال.. لكن.. ليس لدينا وقت لتحطيم الأعصاب هذا.
كانت النيرات قد غطت أجسادنا بالعرق الغزير والحرارة الفظيعة.. وأعمدة اللهب ارتفعت وصعدت الجدران..
لكن..

النيران أحرقت الستائر.. فلماذا لم يرها أحد عبر النوافذ؟ لماذا؟

أخذ عقل (شريف) يعمل في سرعة كالمجنون ثم تناول طرف السجادة بيديه وأنا أدوس بحذائي الشعلات العنيد حتى رفعها عن الأرض وكوّمها..

- حجرة النوم.. فليذهب الجميع إلى هناك..

أسرعت (نهلة) تفتح باب الحجرة المجاورة لها وأدخلت طفليها.. لكن (شيرين) صاحت في عناد:

- انتظروا.. لن نترك (دودو) وحده..

ورحنا نضرب ألسنة اللهيب في الستائر بوسائد المقاعد.. وقلت أنا:

- هل تظن أننا نجونا؟ ما هي إلا دقائق حتى تصل النيران إلى الحجرة بعد أن تحرق بابها.

صرخ (شريفٌ):

- اللعنة عليك.. كف عن لهجتك المتشائمة هذه.

كانت (نهلة) قد انكمشت مع طفليها فوق السرير، وهي تكاد تبكي حسرة على أثاث منزلها الذي تتسلى به النيران في الصالة في قرقعة لها صوت مسموع..

obeikan.com

هتف (شريف) في رعب:
- ماذا سنفعل؟
لوحت بيدي بمعنى الهباء:
- لا شيء.. فقط سننتظر.
هتف بي:
- تبا.
لن أرد عليه.. الموقف لا يحتمل.
- وما يزيد الأمر سوءا أن شقتك في الدور الرابع.. و...
أشار لي (شريف) أن أصمت.. ولم أفهم لماذا..
لكن.. مهلا.. هل تسمعون؟ لقد صمتت فرقعة النيران الخامدة في الصالة.. ما معنى هذا؟
- ما معنى هذا؟
هز كتفيه مغمغما:
- شيء ما قد حدث.
يا لها من إجابة.. بالتأكيد هناك خدعة ما..
- هل نجازف؟
رمقني ورمق زوجته وطفليه..
- فليكن..

obeikan.com

وفتح الباب..
وقفزت عيوننا من محاجرها من فرط الذهول..
مستحيل..
كانت النيران تملأ المكان من لحظات قبل أن تتفحم الستائر وقماش المقاعد وأجزاء من خشب الأثاث ونختنق بالدخان.
والآن..
الآن لم تعد هناك نيران.. ولا حتى أي أثر للهيبها..
الصالة كما هي.. بمقاعدها وأثاثها ونوافذها وستائرها..
مستحيل.. شيء واحد تغير.. العلبة المعدنية.. لم تكن في مكانها فوق البوفيه.. كانت في منتصف الحجرة تماما، فوق السجادة ، تختفي بين نقوشها..
خرج (شريف) - وأنا معه - نتأمل الصالة في ذهول.. وأخذت (نهلة) - بعد أن تركت طفليها في الحجرة - تتحسس المقاعد مستغربة كل ما حدث..
- ما الذي حدث؟
تأملتُ سقف الحجرة لحظة ثم قلت:
- ربما..
- لا تقل إنه...

- وهم.. كل ما عشناه كان وهما.. كما يحدث دائما في أفلام الرعب.

- مستحيل.

أشرت إلى الأثاث السليم وأنا أقول:

- وما تفسيرك لما تراه؟

قالت (نهلة) في لهجة أقرب إلى الانهيار:

- لقد كدت أموت رعبا..

ولقد حان وقت الرعب الحقيقي.. شهقت (نهلة) في هلع (وهي دائما تكتشف الأشياء السعيدة) وأشارت إلى السجادة:

- انظرا..

ونظرنا..

كلا.. ليس ثانية.. اللهب يتكوّن.. لا يزداد تأججا هذه المرة.. لكن.. ما هذا الذي نراه؟

سحب كثيفة سوداء ملأت الصالة، فتراجعت (نهلة) إلى حيث باب المطبخ..

وما زالت السحب تتكاثف.. وانتشر في المكان طنين عجيب كأنه صوت ألف خلية نحل.. ثم انطلقت صرخة ، كأنها قادمة من قلب الجحيم..

obeikan.com

صار من المتعذر أن يرى أحدنا الآخرين.. ما الذي يحدث؟
لكن نظرة تبادلتها مع (نهلة) عرفت منها أنها فهمت كل شيء..
نعم..
لم يستطع هذا الشيطان الظفر بنا مجتمعين ؛ لذا سيحارب كلا منا وحده..
وحده..

* * *

obeikan.com

obeikan.com

- هكذا تقول الأسطورة

اختفت الموجودات بالكامل وحل الظلام الدامس ووجدتني في النقطة التي ولدت منها الأساطير..
بلا لون.. بلا طعم.. بلا رائحة.. بلا حرب.. بلا سلام.. بلا غرب.. بلا شرق.. بلا بداية أو نهاية.. بلا كيان أو وجود.. بلا أي شيء.. لأنه العدم.
الهاوية المظلمة التي هي بلا حواف ، وليس لها غور ولا جدران.. بعيدة كالمدى ، ليس لها جذور.. مترامية كالمحيط ، لا يُعرف لها كنه.. قبل ظهور الخلق.. وبالتالي قبل ظهور الملائكة أو الشياطين.. وبالطبع قبل ظهور الآلهة بزمن طويل.. طويل جدا ، لا يعرف له مقدار.. هكذا تقول الأسطورة!
لم يكن من شيء إلا (هيولي) ، المادة غير المعينة.. الهاوية.. العدم.. ومن هذا العدم ولد طفلان.. أحدهما الليل.. والآخر هو الموت.. ولم يكن معهما شيء آخر ، ولا مخلوق سواهما.. عدا الصمت والخلاء.

obeikan.com

وفجأة.. وقعت المعجزة..
فإذا بالليل يضع في كنف الموت بيضة.. وبعد أحقاب طوال خرج من البيضة فرخ صغير.. طفل ناعم جميل.. هو الحب.. وبزغ هذا على الكون ناشرا جناحيه الذهبيين.. وبمولد الحب ولد النظام والجمال.. ولدا ليقهرا الفوضى والعدم و... والهيولي العمياء.. وهكذا خلق الحب أول خلائقه.. النور.. وخلق معه أخاه الأبيض ، ورفيقه البديع ذا الرونق والبهاء.. ذلك هو النهار..
وبعد أن كان النور والنهار ، وُجدت الأرض.. وجدت على نحو غامض ، وبوسيلة لا يعرفها أحد ولا تذكر لها الأساطير كنها.. وبرزت الأرض الحسناء إلى الوجود.. عريضة الصدر.. رحيبة الأحضان.. وأساس كل موجود.. وبدورها الأرض.. أنجبت بكر أبنائها..
السماء..
بنجومها.. وقمرها.. وشمسها.. بضوئها وظلامها.. وغموضها.. وكانت السماء - الابن - ندا للأرض - الأم - في المقدار ، فغطت بأكنافها الأرض جمعاء.. وطابت سكنا للآلهة الأمجاد.. وراق ذلك لهم موطنا.. وكانتا - الأرض والسماء - في تلك الأزمان

أشبه بالروح الحية.. تفعل ، وتريد ما تفعل.. وتمور بالحركة والتغيُّر.. وأكثر من ذلك.. هكذا تقول الأسطورة..
كانت الأرض والسماء زوجين.. نعم، السماء هي الذكر والأرض هي الأنثى.. ومن هذين الأبوين العتيدين ، امتلأ وجه الزوجة - الأرض - بالرجال، والرجال فقط.. إلا أن الرجال كانوا عجبا.. هذا إذا ما سميناهم بالفعل رجالا ، كانوا وحوشا خرافية ، بشعة الخلقة ، ضخمة التكوين.. هائلة الهياكل تشبه الإنسان في مجموعها.. عدا الجسد المشعر بأكمله والذي يبدو كغوريلا في حجم الجبل ، وتلك الحراشيف والقشور والنتوءات على ظهره حيث يكون العمود الفقري..
ولكن..
ولكنها ليست بشرا..
إنها تجربة أولى للخلق ، تتمثل فيها دماء الكون الحارة الفائرة بالنشاط ، ومن هذه المخلوقات ثلاثة أفراد ، ولا تدع كلمة (أفراد) هذه تمر عليك مرور الكرام ؛ إذ إن كل واحد منهم كان له خمسون رأسا ومائة ذراع.. وثلاثة آخرون لكل منهم عين واحدة وسط جبينه.. كانت مستديرة كالعجلة، مضيئة كالشمس.. دعك من (التياتين).. وهي مخلوقات

هائلة لا تقل عن سابقاتها قوة وبأسا وضخامة بنيان.. وبين هذه المخلوقات الأولى وقعت معارك هائلة ، سال فيها الدم على وجه الأرض أنهارا.. فلفظت منها دماء أب قتل ابنه.. هكذا تقول الأسطورة..

ومن هذه الدماء المستبعدة نبتت سلالة جديدة.. سلالة العملقة والوحشية.. وسلالة أخرى.. هي سلالة (بنات العذاب).. أول المخلوقات الإناث على وجه الأرض.. نيطت بهن معاقبة الآثمين وتعقُّب الجناة.. وقد كتب على جميع تلك المخلوقات الأولى أن تبيد مَن على سطح الأرض إلا سلالة واحدة: (بنات العذاب).. فلن ينتهي مُلك تلك السلالة من الدنيا أبدا ، وهذا لأنهن أول مبدأ.. وأول نشأة للمبدأ الأخلاقي وأول آية على قيام العدل والضمير بين عناصر الحياة..

ومع نهايات مرحلة العمالقة والمخلوقات الهمجية ، بدأت مرحلة جديدة : مرحلة ظهور الآلهة.. هكذا تقول الأسطورة.. زحل.. جو بيتر والمشترى.. وزيوس الذي تزوج امرأة بشرية أنجب منها أولاده : برسيسوس.. أطلس.. هرقل.. وكلهم أبطال جبابرة.. إلا أن أحدا منهم لم يكن من الأبرار على طول الخط.. فلم يفلت أحدهم من العقاب.. كلمة عقاب عندنا

تعني الحبس.. التقييد مدى الحياة.. أي شيء حتى تصل إلى أقصى درجة.. الإعدام..

ولكن في ذلك الوقت كانت الآلهة في (موَّال) آخر وموضوع مختلف تماما ؛ فهي لا ترحم ، ولا تعرف لكلمة العفو معنى.. فكل شيء يسير وفق قانون معين ثابت.. وكل شيء على ظهر الأرض يكره القوانين حتى الآلهة - فخرج الأبناء عن طوع أبيهم - بالطبع لم تكن جرائمنا التافهة : القتل.. الاغتيال.. الذبح.. بجوار لعناتهم شيئا.. على أي حال كانت جرائم تتناسب مع وضعهم الاجتماعي في ذلك الوقت.. استخدم الآلهة فيها أحدث تقنيات عصر الأساطير.. وبدأت الأعصاب تتوتر.. وطفح الكيل على زيوس.. وأنت تعرف آلهة الإغريق حين تثور وتتحفز للقتال.. فهي لا تعرف أبدا مع من وضد من تقاتل.. إنها تقتل ما تجده.. وتلتهم ما تراه ، عدوا كان أو حليفا..

وتخلى (زيوس) عن قناعه الأرستقراطي، واتبع أسلوب البلطجة وانتصر.. وأصبح المعلم (زيوس) هو السيد بلا منازع.. قتل أعداءه واستراح.. لكن (هزيود) لم يدعنا نستريح؛ فهو يجد دوما لذة خبيثة في أن يجعلنا نقرأ أساطيره ونتخبط

في الظلام..
كانت إحدى قصائد (هزيود) تخالف كل ما سبق - تقريبا منذ فترة ظهور الآلهة - كيف؟
في قصيدته الثانية يكون (زحل) هو أول الآلهة ، وليس (زيوس) ، وفي هذا الزمان السحيق كانت لـ(زحل) زوجة، نعم ، السيدة الفاضلة هي (ريا) التي أنجبت له عددا من البنين -طبعا - (ديمتير).. (بلوتوس).. (يونو).. و(جوبيتر) - ونتوقف قليلا مع الأخ (جوبيتر) هذا.. فكل المصائب التي تزخر بها الأسطورة كانت من تحت رأسه.. (جوبيتر) هذا تمرَّد على أبيه وعزله عن عرش الكون ليتربّع هو فوقه حاملا اسمه الجديد (زيوس) وجعل مقر عرشه هو جبل الأوليمب و...
لكن (هزيود) لم يكن بهذا الغموض الذي ظننته ؛ إذ إنه قد قصَّ علينا قصة هذا التمرُّد بتفصيل مدرسي حافل.. فقد نمى إلى علم زحل - الأب - أن ولدا من أولاده قد كُتب له في لوح القدر أنه سوف يعزله عن عرشه ليجلس هو مكانه.. فماذا يفعل؟ الأسلوب المعتاد أن يقصقص ريش أجنحة أولاده.. أما عقله فقد اهتدى إلى أسلوب أكثر تطورا.. الخدعة العصرية

الإجرامية نفسها : أن يتغدى بهم قبل أن يلتهموه في العشاء. التهمهم.. واحدا وراء الآخر (منتهى الإخلاص) ليغير ما جاء في لوح القدر وبطبيعة الحال.. حزنت (ريا) لأنها - حتى ولو كانت إلهة - فهي أم.. سواء أكانت قصة أطفال هذه أم رواية أدبية.. حدوته كانت أم أسطورة إغريقية..

وبالطبع ، لم تكن لتقف تتأمل زوجها - (زحل) - وهو يزدرد أبناءهما على هذا النحو.. فلما حملت بالمشترى - سادس هؤلاء الأبناء - أفلحت في تهريبه إلى جزيرة بعيدة في بحر واسع ، ومن ثَمَّ فقد خدعت زوجها العتيد.. كيف؟! قدمت له حجرا ملفوفا في حرام الوليد ، فابتلعه واطمأن.. وكان ذلك في اليوم السابع لميلاد الطفل - أي يوم سبوعه - وبدأ المشترى - (زيوس) فيما بُعد - يفتح عينيه في تلك الجزيرة، ولما شب عن الطوق ، لم يكن هناك وقت يتسع لطيش الشباب ، فاستعان بجدته (الأرض) ، فأكره أباه على تقيؤ إخوته الخمسة..

ولا تسألني : (كيف)؟ مثل كل مرة ، فهكذا قال لي (هزيود).. وهكذا قلت لك.. وهكذا تقول الأسطورة!

ومن بين ما تقيأ (زحل) كان ذلك الحجر الذي ظنه ابنه

(زيوس) ولا تظن - أرجوك - أن القصة قد انتهت على هذا النحو السينمائي.. فلم يكن ما حدث إلا البداية.. بداية النهاية..

فما عاد (زيوس) من اختفاء - بعد أن أبعدته أمه وهو بعدُ طفل - إلا لينتقم ، مثل ما يحدث في الأفلام الهندية وتبدأ الحرب..

والآن.. إذا كان تليفزيونك ملونا.. فسترى (زيوس) وإخوته الخمسة بأحجامهم الهائلة على جانب.. وعلى الجانب الآخر سترى (زحل) يظاهره إخوته (التياتين) بملابسهم الـ... معذرة.. لا يرتدون شيئا.. وكانت حربا هائلة اصطرعت فيها أعتى القوى ، وانفتحت فيها أبواب الجحيم ، وكادت تدك هذا الكون دكا وتجعله بددا..

وكتب النصر للشاب النشيط (زيوس) فعاقب أعداءه عقابا شديدا ، وقيَّدهم بالأغلال ، وحبسهم في أغوار الأرض وتحت سطحها ، وذلك في بعد سحيق بينه وبين وجه البسيطة.. مثل الذي بينه وبين السماء من مسافة.. وكان العقاب ألوانا وصنوفا.. (أطلس).. (التيتان) الهائل ، أقامه (زيوس) عند طرف الكون ، وكلَّفه أن يحمل العمود الهائل الذي يفصل

بين السماء والأرض ويبعدها عنها.. وهذا هو سبب تسمية الكتب الجغرافية باسمه.. وإذا ذهبت إلى أحد متاحف (أثينا) فستجد له تمثالا وهو يحمل الكرة الأرضية فوق ظهره المنحني.. وهو في موقفه ذاك حُكم عليه أن يبقى حيث يلتقي الليل النهار ، وحيث يقوم (بيت الزمن).. وفائدته ، كما تقول الأسطورة ، طريفة للغاية ؛ إذ إن الليل يأوي فيه ، حينما يهيمن النهار على الدنيا.. ثم يأوي إليه النهار حينما يفرد الليل على الدنيا أجنحته.. فلا الليل مُدرك النهار ، ولا النهار مدرك الليل ، وكُل في فلك يسبحون ، ولا اجتماع لهما في أفق السماء.. ولا في بيت الزمن..

وقيّد (برمثيوس) بين جبلين ، وفي كل يوم يلتهم الرخ كبده.. ثم ينبت له آخر في أثناء الليل..

و(جيسون) يبحث عن الفروة الذهبية التي هي الشفاء الوحيد لجرحه المميت في أثناء صراعه مع (زيوس).. وعلى (هرقل) قتل (الهيدرا).. وحكم على (سيزيف) بإزاحة حجر إلى قمة الجبل ، فكلما وصل عاد إلى السفح مرة أخرى.. كما تقول الأسطورة!

والآن..

فلنلق بكتاب الأساطير جانبا.. ولنطوِ قصائد (هزيود)..
ولنتطلع دوما إلى ما هو أغرب من كل خيال..
إلى الحقيقة..

* * *

obeikan.com

(القسم الثالث)
نار ودخان وملاحم إغريقية

obeikan.com

obeikan.com

- وأيّة حقيقة؟!

سحب سوداء ملأت الصالة.. وما زالت السحب تتكاثف.. انتشر في المكان طنين عجيب.. كأنه صوت ألف خلية نحل.. وانطلقت صرخة.. من أعماق الجحيم.. صار من المتعذَّر أن يرى أحدنا الآخر..

ما الذي يحدث؟

سيحارب ذلك الشيطان كلا منا وحده..

وحده..

* * *

ملأ الضباب الحجرة - في منزل (شريف) - وأظلمت الدنيا فجأة.. ولم أعد أرى الحجرة ولا صديقي المهندس وزوجته.. وإذ بدأ الضباب ينقشع وجدت نفسي في مكان مختلف

obeikan.com

تماما..
هل هذا حقيقي؟ إنه كالحلم.. فجأة يتحوَّل منزل (شريف) إلى مسرح لأحداث قصة خرافية.. لكني.. لم أنتقل عبر الأمكنة فحسب.. بل والأزمنة أيضا..
الزوابع تزأر ، والريح لا تهدأ.. تزمجر.. الكون يعوي بكل ما فيه من جنون.. وثمَّة صراخ هنا أو هناك، لا يعلوه العواء..
لقد جئت إلى ما بعد البعيد.. إلى الألم.. كل الألم..
كان أمامي آخر ابن للأرض..
(تيفون)..
آخر جنين خرج من أحشائها.. آخر نمط من ذراريها العتاة.. وكان وحشا ذا مائة رأس.. تقذف أفواهها باللهب.. فتحدى الآلهة طرا.. وللموت من بين فكوكه زئير.. وللجمر من حدقاته جحيم.. نيران لا يقوم لها شيء.. ضرب (تيفون) بصولجانه السماء ، فصارت الصواعق والبروق.. حدّق فيَّ بعيونه الجهنمية.. مائتا نبع للجحيم.. أشار إليَّ بصولجانه، فانطلقت منه صاعقة ألهبت الأرض تحت قدميَّ.. وأشار بصولجانه.. هنا.. وهنا.. وهناك.. وأخذت النيران تشتعل في كل مكان.. ثم صوَّب صولجانه الشيطاني هذا إلى السماء ، فانطلقت الصاعقة الهائلة.. صاعقة شقت الأرض من تحتي..

وإذا بي أهوي في بئر عميقة مظلمة.. وألهب الظلام عقلي..
ما الذي يحدث لي؟ وما الذي يحدث لصديقي وزوجته الآن؟

* * *

السحب تتكاثف.. طنين النحل.. السماء السوداء.. ثم الصرخة.. ولم يعد يرى أحدنا الآخر.. سيحارب هذا الشيطان كلا منا وحده..
وحده..
أظلمت الدنيا حول (شريف).. لكنه تبين ما هو فيه.. سرداب مظلم طويل.. ما الذي جاء به إلى هنا؟ و... وأخذت النيران تشتعل من خلفه ، حاملة إياه على التقدم الراكض.. والنيران تزحف وهو يعدو بكل قوته ، حتى إذا وصل إلى ما عرف أنه باب السرداب ، أخذ يطرقه بكل عنف.. ثم حاول أن يخلعه.. لكن ، هذا الشيء اللعين لا يستجيب.. والنيران تواصل زحفها..

* * *

وواصلت أنا السقوط إلى اللانهاية..
وتوقفت فجأة.. هل هذا هو العدم؟ هل هذه بداية الكون؟ هل يمكن أن أكون أنا حقا هنا.. عند البداية؟ حيث النهار يرسل النور لكل ذي بصر.. خليط متدفق من دوامات رمادية غريبة.. نباتات عملاقة.. ونباتات بحرية.. وأمواج هائلة.. تحتي.. أرض جدباء في قلبها الصهارة الصخرية الملتهبة.. طحالب بحرية خضراء.. وضوء القمر.. أمامي.. مروج خضراء تمتد إلى حيث اللانهاية.. الطبيعة البكر التي لم يمسها مخلوق.. فوقي.. غيمة سديمية.. مجرات.. نجوم.. وكواكب.. حلم سرمدي أبدي.. وقرص الشمس ينتهي.. فوق الأفق البعيد.. وملايين النجوم المتجاورة.. داخلي.. دوامة من الألوان.. بيضاء ، رمادية، زرقاء.. وألف رجفة..
هل أنا هنا حقا؟ حيث كانت الأسطورة طفلا يحبو.. وفيها يفتح الكون عينيه.. سيصيبني الدوار.. أنا لم أُجنّ بعد.. قولوا لي إن تحت هذه الأرض بُرعما سيتفتح بعد لحظة.. لا بد أن وراء هذه الأشجار ، فراشة من أي نوع.. قولوا لي إنه هناك عالم.. ناس.. بيوت.. ضجيج.. و... ويا ليتني أغلقت فمي..
ثمة حفيف في أوراق الشجر الجافة الساقطة ، وتحت ضوء

الشمس الشاحب.. ومن الحطام والأطلال ، خرج هو.. (التيرانوصور).. وهو الاسم العلمي لـ(سحلية الرعد).. أضخم حيوان عرفه الكون منذ البداية ، إلى الآن.. وأنا الذي كنت أحلم برؤية فراشة.. ليتني أغلقت فمي.. والآن.. كيف أهرب من هذه البارجة الحربية؟ كان كل ما أراه منه هو صدره الأخضر القاتم.. وأسنانه البرَّاقة إلى حد مدهش..

حاولت أن أجري.. فاتسع مجال الرؤية.. كان له عنق ثعباني مرعب.. وفم مفتوح في بلاهة ويسقط منه لعاب الشهية.. وكان يتقدَّم مني في بطء وهدوء.. وكانت قدماه تغرزان في التربة الطينية ، تقتلعان بعض الأشجار.. وكانت قائمتاه الأماميتان تتدليان في لا مبالاة ، تنتهيان بعشرة خناجر - هي مخالبه.

لقد حجب عني ضوء الشمس تماما.. والآن أراه كاملا.. وإن لم أركض سريعا ، فلن أرى فيه سوى أمعائه من الداخل.. وفي حذر كانت يداه تزحفان نحوي..

* * *

وكانت النيران تواصل زحفها نحو (شريف) الذي أخذت حلقة اللهيب تضيق حوله ، فجعل يدفع الباب بكتفه بكل ما في عضلاته من قوة.. فكادت تنخلع - كتفه لا الباب - والنيران تحبو..

أيا ما كان خلف الباب ، فلا بد أن يستجيب و...

وانفتح الباب..

انفتح على المجهول.. انفتح على مساحات كئيبة واسعة.. انفتح على مساحات لا أول لها ولا آخر من الرمال.. صحراء واسعة.. أولها مثل آخرها.. شرقها مثل غربها.. السير فيها مثل التوقف..

قرص الشمس مثل عين هائلة ملتهبة ترمقه في تحدٍّ واضح.. وأمامه كان جدار عالٍ.. اتجه نحوه في بطء وحذر.. وظل يرمقه في غباء.. ما هذا؟ ما الذي أتى بهذا الجدار إلى هنا؟ كان هذا مزينا برسوم فرعونية بدائية.. تمثل حفل تنصيب (حورس) إلهًا للشمس ، وإلى يمينه كانت (سخ - تمن) - إلهة الحرب - تصب فوقه الماء المقدس.. وإلى يساره كانت (بستيت) تعزف على آلة تشبه (الهارب).. بينما يرمق (ست) - إله الشر - كل هذا في حقد ، يكاد يلتهم بأنياب الأسد في

فمه ذيل التمساح في مؤخرته..
ما الذي أتى بهذا الغباء إلى منزله؟ بل ما الذي أتى بالصحراء إلى هنا أساسا؟
(شريف)..
هل سمعت في حياتك مثل هذه الأصوات؟!
طائر أسود يثب مقتربا.. يشبه الغراب.. لكنه ليس هو..
تسمَّرت قدما (شريف) وتحجَّرت عيناه في محجريهما.. كان هناك الكثير من الطيور السوداء - التي هي ليست الغراب - قادمة نحوه..
كانت الطيور قادمة من كل صوب بالعشرات.. بل بالمئات..
وكوّنت حوله نصف دائرة.. ثم دائرة كاملة.. طيور.. طيور.. طيور..
أيوجد في الدنيا مثل هذا العدد الرهيب من الطيور؟
أجنحة.. ومناقير.. وعيون.. عيون صغيرة لامعة.. مئات العيون الصغيرة اللامعة..
وكانت كلها مسلطة عليه..
كان هدفها...

* * *

وكنت هدف هذه اليد الديناصورية الزاحفة نحوي.. اللعنة!!
لن أموت في معدة سحلية (فجعانة)..
ارتفع الرأس الثعباني.. وتحركت شاحنة اللحم.. تشق طريقها في رشاقة نحوي..
ماذا أفعل؟!
المفروض أنه في أفلام مثل (مليون سنة قبل الميلاد) و(أسطورة القارة المفقودة) أن يظهر بطل ما يصرع هذا التيرا.. تيرانوصور، بضربة واحدة من رمح أنيق ، بعد أن فشلت كل مدافعنا الرشاشة في ذلك.. لكن.. للأسف!! لست في فيلم سينمائي.. ولست أمتلك أيا من تلك الأشياء المبهجة..
زمجر الديناصور.. والتمعت أسنانه تحت ضوء الشمس..
حسنا.. فلأفعل أي شيء..
(أنا ميت ميت).. أمسكت جزع شجرة غليظا وثقيلا وجافا ، وشرعتُ أُلوِّح به مهددا.. لكنه لم يتأثر.. تصوروا!! يا للجرأة..
واصل (البلدوزر) تقدمه.. هذا السيد ليس مستعدا للمناقشة.. حسنا.. لن يكون قتاله أسطوريا كما أزمعت..
ارتجف فكاه الثعبانيان وهو يفتحهما.. يا لها من فرصة!!
أبعدت جزع الشجرة وراء ظهري.. ثم.. بروووووم..

دفعته بكل قوتي في أسنانه.. بالتحديد في الجانب الأيمن..
هل تصدقون ما حدث؟ لقد هشمت له سنتين.. أنتم لا تصدقون.. أنا نفسي لا أصدق..
لكنه واصل تقدمه.. وكان جسده البدين ينحشر في الأشجار ، فيجرها معه.. ماذا أفعل؟
أسمع بعضكم يقول : واصل تقهقرك ولا يهمك..
حسنا.. إليكم النبأ السعيد..
لقد كانت هذه هي نهاية المطاف ، فخلفي مباشرة كان هنا بحر واسع يحتجزني أمام هذا الوحش..

* * *

.. وكان الجدار يحتجز (شريف) أمام الطيور السوداء..
لا يمكن أن يظل هكذا جامدا.. بينما الطيور.. بينما الطيور... خلع سترته ، واتخذ منها درعا يطوّحها يمينا وشمالا ، يهش بها الطيور.
وشعر بأجسامها تصطدم بسترته.. ومع ذلك كانت صامدة، تهاجمه في بسالة.. وكانت تنقض على رأسه - رأسه فقط - فلف سترته حول رأسه ، ومع ذلك ظلت الطيور لا تنهزم ولا

تتراجع..
إلى أي حد طالت معركته بينه وبين الطيور؟
كانت معركة من طرف واحد - الطيور - وكان هو يقوم - فقط - بدور المدافع لا المهاجم.. لكن متى توقفت الطيور عن الهجوم؟ سؤال لم يدرِ له إجابة..
كل ما كان يعرفه هو أنه كان يقاوم في كل اتجاه..
كلَّت يداه وأحس بقواه تتهاوى.. فسقط تحت الجدار.. وكان قد أصبح خرقه بالية صالحة لتلميع الأثاث..

هو في الصحراء.. لكن...

* * *

أين المفر؟! البحر خلفي و(التيرانوصور) أمامي.. من الذي أشعل السفن؟ لست أدري! لكن.. أي سفن أعني؟!
لا بد إذًا من اتباع مبدأ نابليون الأحمق : الهجوم هو خير وسيلة للدفاع..
وقفت في مكاني في لا مبالاة.. وشرعت أمط شفتي وأُصفّر بلحن مرح ، متطلعا إلى الديناصور في برود.. وأخذت أعبث بالتربة الطينية تحت قدمي بجذع الشجرة - الذي صار لينا ربما من أسنان هذا الوحش - ناظرا إليه في تحدٍّ وصفاقة.. على حين أخذ يرمقني هو متسائلا عمَّا إذا كنت أصلح كعشاء له اليوم أم يحتفظ بي للغد.
وتقدم مني مبديا رأيا لا بأس به في طعمي..
وتقدّم.. وابتسمت في عذوبة..
وتقدم.. وابتسمت.. وهجم..
واندفعتُ أنا جانبا في سرعة ، محتفظا بابتسامة على ثغري.. بينما سقط (التيرانوصور) في البحر.. وبدأ جسمه ينتفض ويتموّج في عنف.. وأخذ يضرب بذيله المسنن في كل اتجاه.. فنشأت عن ذلك موجة هائلة..
وسكن جسده إلى الأبد.. عندئذ.. هززت رأسي في خيبة أمل..

المفروض - في الأفلام - أن يكون هذا (التيرانوصور) ساقطا الآن عند قدمي.. تنبثق في عنقه نافورة من الدم.. وقوته تضعف تدريجيا.. بينما أنا - البطل - أتنفس الصعداء ، مُزيحا خصلة من شعري الفاحم! وللأسف.. لم أكن ماسكا سوى الجذع القديم..

لكن.. لماذا صار لينا هكذا؟ ولماذا يلتوي هكذا؟ ولماذا تظهر عدة أسنان في نهايته كالثعابين؟ الثعابين؟! يا إلهي!! إن الذي أمسكه الآن هو...

* * *

.. أفعى ضخمة كانت تتلوى متجهة إلى حيث جلس (شريف) متهالكا تحت الجدار إياه.. فتجمّد في مكانه تماما من الرعب ، وهو يحدق في عينيّ الأفعى المشقوقتين.. لكنها لم تهتم.. وواصلت زحفها نحوه..

اللعنة.. إن كل الأفاعي في الروايات البوليسية تحدّق في عيني ضحيتها ، وتتبادل مع عينيه نظرة صارمة ، تصطدم فيها الإرادات.. لكن هذه الأفعى لا تحتاج إلى دراسة الخصم.. هي تعرف عملها جيدا وتؤديه في روتينية براجماتية ميكيافيلية

تامة.. توقفت أمامه ، وأبرزت أنيابها ، وتقوّست على نحو مرعب..

فليكن..

في اللحظة التي بدأت فيها انقضاضها ، تحركت يدا (شريف) وانقضت على عنق الأفعى وأخذ يعتصره بين أصابعه..

وأطلقت الأفعى فحيحها الحانق ، وراحت تتلوى مهتاجة..

ويبدو أنه لمس رنة الاستسلام في صوتها - أقصد (فحيحها) - فتراخت أصابعه عنها، وتركها تولي أدبارها لاعنة هذا اليوم الأسود..

حمدا لله..

من حسن الحظ أنه كان يمسك برقبتها..

* * *

obeikan.com

أما أنا فكنت أمسك بذيل الثعبان العملاق في يدي.. بكل الحنق في أعماقي..
آسف يا سيدي.. لست مستعدا للصراع معك.. لا وقت لديَّ..
وأخذت أطوح به في كل الجهات.. وضربت به كل الأشجار..
لقد أوقعه سوء حظه في يدي.. وعليه أن يتحمل في شجاعة..
نفضت به كل الدنيا من حولي..
خذ هذه.. وهذه..
ما ذنبي أنا لأصادق (شريف) هذا؟ هه؟ ما ذنبي أنا لأجد مسابح قديمة ملعونة.. و(تيفون).. وسحلية.. وفي النهاية أنت؟ خذ هذه أيضا..
كنت نائما في منزلي وفي حالي.. فأخذوني من الدار إلى النار..
أهذه دعوة لصديق يا (شريف)؟ يا للعار.. خذ هذه..
كان الثعبان يترنح في يدي وأصبح مثل حبل غسيل مهترئ..
وأخذ يرمقني في توسل.. حسنا.. سأكتفي بهذا القدر.. لقد تحسنت نفسيتي بعض الشيء..
ألقيته على الأرض.. ولم يهرب.. أخذ يتطلع إلى كل شيء في ثمالة.. وقد أصبح الكون حوله مليئا بالزينات والألعاب النارية.

obeikandl.com

معذرة صديقي.. كنت أحتاج إلى من يروح عني قليلا..
ساد الصمت الدغل القريب.. وكان منظر الثعبان الدائخ والديناصور الغارق يبعث في نفسي السلام والسكينة..

* * *

على عكس (شريف) الذي كان ، في تلك اللحظة بالذات ، محاطا بسلسلة من الفوهات البركانية النشطة على جانبي الجدار الصخري.. امتلأ الجو بالغبار والرمال.. وبدت السماء حمراء ممتلئة بالسحب المنخفضة.. كانت الشمس تلطخ بدمائها السماء.. نظر إليها.. فانعكست في عينيه ملايين الكرات والبلورات الملونة.. وكان الصوت حادا.. مفاجئا.. رهيبا..
شرخ هائل يسير على الأرض متجها نحوه.. كأن في باطنها عملاقا يشق سطحها بسكين ضخم..
البراكين تنفجر الواحد تلو الآخر.. الفالق يواصل زحفه.. والأرض تنشق تحت قدميه..
حاول أن يحتمي بالجدار.. دون جدوى..
رأى سحبا من الدخان الأرجواني تتصاعد ببطء.. ونجوم ذات

ألوان براقة.. اصطدم رأسه بالحائط.. وسقط في فراغ مظلم..
وخواء ساكن رهيب..

* * *

obeikan.com

٩- البنات

كنت أقف في مكاني ، أتطلع إلى الشفق الضبابي الباهر.. الذي لا ينتهي.. طبيعة رائعة.. في أرض تخضَّب هواؤها بضباب بنفسجي عجيب.. حيث لا وجود لأي شيء..

أسير ببطء.. إلى الأمام.. وأمام صخور هائلة أقف.. ثم فجأة.. انشقت الصخور.. والطريق بداخلها يمتد إلى ما لا نهاية.. كأنه يدعوني للدخول..

ودخلت.. درجات صاعدة ، تمتد إلى مسافات بعيدة.. درجات بدائية جدا..

الضوء البنفسجي الشاحب يملأ المكان.. ويلتوي السلم فجأة ، ويلتوي معه خط مسيري.. وأجدهن أمامي..

البنات.. في جمالهن رأيتهن.. في شراستهن رأيتهن.. في مشهد كأنه لوحة جدارية إغريقية صامتة رأيتهن.. ولأنني لا أريد أن أراهن رأيتهن.. لا أعرف كيف أصف.. صورة ثابتة تجمع

obeikan.com

بين اللونين الأصفر والأبيض.. وألوان أخرى باهتة.. وبدأت الصورة تتحرك..

أخرجت واحدة منهن خنجرا من حبل تحيط به نحرها.. واقتربت مني.. ولمحت النصل الكئيب يلتمع في يدها.. وثبتُ هلعا للوراء..

- كلا أيتها الشيطانة.. لا تقتربي..

لكنها أصرت على العكس.. وواصلت التقدم..

تراجعتُ للخلف ، محاذرا من أن أسقط على درجات السلم الهابطة.. تقدمت.. وأنا أتراجع.. حتى إذ وصلت إلى المكان الذي يلتوي فيه السلم يمينا.. تراجعت بسرعة جانبا.. وتقدمت هي للأمام.. واندفعت - يا لها من حمقاء - نحو الجدار الصخري.. فتهشم نصل الخنجر.. في اللحظة نفسها ، أدركت البنات أن زميلتهن فشلت فيما كان يجب أن تفعله.. انطلقن في إثري ، وفي أيديهن الكثير من النصال الكئيبة القاتلة..

التي اندفعت كلها نحو صدري..

* * *

في صدر مكان واسع عجيب أفاق (شريف) من غيبوبته القصيرة التي سقط فيها.. أين هو الآن؟ إنه معبد.. نعم.. معبد فرعوني.. هذا عجيب.. لكنه لم يتساءل كثيرا.. إن كل ما يراه عجيب.. لكن.. هل يمكن أن يكون قد ألقى بساعات عمره وسنواته خلف ظهره؟ لكن أي عمر هذا؟ إنها أعمار.. أعمار تساوي خمسة آلاف سنة.. هل يمكن أن يكون قد ألقى بكل هذا ليأتي إلى هنا؟

وعلى الجدران من حوله حملت النقوش قصة (مجاعة السنوات السبع) كما رواها (هيرودوت).. ومرت لحظات.. تطلَّع فيها إلى الجدران والرسوم.. قبل أن يرى ما جعله يجمد في مكانه بلا حراك..

رأى رجالا..

رجالا بملابسهم الفرعونية.. يتحركون في جلال وصمت.. وتحرك أحدهم إلى الأمام ، وربت على قارورة نحاسية في خشوع ، مغمغما بأشياء غير مفهومة.. ثم عاد إلى الوراء.. وركع أمام... أمام جثة.. في خشوع ورهبة..

- بركاتك.. يا ملك بلادك..

هذه العبارة.. نعم.. إن هذه الجثة جثة (سنوسرت الثالث)..

إذًا فهي مراسم تحنيط..
سرت البرودة في أوصال (شريف) وهو يحدق في ما يحدث..
(أنت عظيم يا سيد وقته).. قالها الكاهن الأكبر وهو ينظر بخضوع إلى الجثة..
(أنت السيد الذي يمنع ثورة الفيضان).. وأومأ بحركات غامضة بيديه..
(أنت عظيم يا سيد وطنه).. والتوقير ما زال في عينيه..
(أنت الدفء أيام الشتاء).. أمسك بالقارورة النحاسية.. وردد الكهنة من خلفه النشيد الممل ذاته، الذي أثاروا به حنق (سنوسرت) حيا.. وها هم يفعلون به الشيء نفسه ميتا..
(أنت عظيم يا سيد وطنه).. الحركات الصامتة المملة نفسها..
(أنت الظل أيام الصيف).. تقدمت نساء يلبسن ملابس حداد بيضاء؟! وعلى رءوسهن أكاليل الورد الأحمر والأصفر.. وأخذ بعض الرجال الصلع يضربون على الطبول وفي أيديهم عصيّ من الخيزران.. لطرد الأرواح الشريرة.. التي تخرج من أحشاء المرحوم..
كانت جنازة فاخرة ، دارت فيها الأواني المعدنية حاملة الفاكهة المعطرة.. كانت لوحة رائعة.. يتقدم الكاهن الأكبر

ويشعل المصابيح على أكداس الورد والياسمين والريشات الذهبية.. كل شيء هنا يثير الذهول..

فجأة.. توقف كل شيء : دق الطبول.. رقص الفتيات.. صلاة الكاهن.. وإلى حيث كان يقف (شريف) اتجهت عينا الكاهن الأكبر.. كيف علم بوجوده؟ أهي حركة ندت رغما عنه ، أم ماذا؟ لعله.. لا يوجد وقت لمزيد من الأسئلة.. لقد شعر الكاهن بوجوده..

ها هو يحمل سكينه الذي كان سيشق به بطن الأمير (سنوسرت) لاستخراج أحشائه.. وها هو يتجه نحو (شريف).. قبض على السكين و...

* * *

obeikan.com

اندفعت الخناجر نحو صدري ، لتنزع الروح منه.. حسنا.. لا مفر من المواجهة.. كوَّرت قبضتي واندفعت بها في وجه البنت التي كانت أمامي مباشرة.. لست ممن يضربون النساء.. لكني - بالتأكيد - لست ممن يذبحون على يد النساء.. ولن أفعل شيئا بالشهامة في قبري.. هذا بالطبع إذا ما تطوع مخلوق هنا بدفني.. طوَّحت بقبضتي في وجه (بنت) أخرى.. وأخرى.. وأصبحت ممن يضربون النساء.. بل قل رجالا.. وحوشا.. أجسادا من فولاذ.. حوائط من الصلب.. إن الواحدة منهن تسقط ثم تنهض بنفس سرعة سقوطها لتواصل الصراع.. الصراع الذي سينتهي سريعا.. لصالحهن.. واستمر القتال على هذا النحو غير المتكافئ بين بنات العذاب ورجل ماتت قبضته تماما.

فلتتوقفن أرجوكن.. أنا أعلم أنكن فتيات مهذبات.. ولستن ممن يضربن الرجال.. كفى.. أرجوكن..

لكن.. لا جدوى من صراخي..

* * *

وما من جدوى من تقهقر (شريف) أمام خطوات الكاهن الأكبر الثابتة.. ما من جدوى أبدا..

اقترب الكاهن.. وكل شيء في المعبد ينذر بالموت : ثياب الحِداد.. البيضاء.. قرع الطبول.. أكاليل الزهور.. جثة الفرعون.. والكهنة يستعدون لنزع قلبه ووضع الجعران المقدس الشهير..

حاول (شريف) أن يذهب هنا أو هنا.. أي مكان.. بعيدا عن منال الكاهن الأكبر..

وثب في ثلاث خطوات إلى حيث الجثة – جثة (سنوسرت) - وتراجع الكهنة مذعورين.. وكانت حركاته غير حذرة بالمرة.. فقلب أواني الطعام والعطور.. وأطفأ عشرات الشموع وبعثر عشرات الزهور.. وفي وثبة واحدة ارتقى المنصة الجرانيتية..

ماذا يفعل؟ أمسك الوعاء الكانوبي المُعد لحفظ الأحشاء وألقاه نحو الكاهن الأكبر.. كان يعلم أنهم لن يقتربوا من المنصة المقدسة.. لكنهم لن يصمتوا طويلا.. سار في ممر جانبي قصير.. وعبر القاعة في هدوء وحذر ، ووقف ينظر إلى الباب العملاق.. كان سميكا جدا.. وثقيلا للغاية.. ومغلقا بإحكام.. لكن هنالك فتحة في الحائط.. بوسعه أن يحاول..

obeikan.com

تسلق النافذة ، وسقطت بضع قطع من الصخور من على الحائط.. ثم طوَّح نفسه وقفز على الجانب الآخر من المعبد.. وجد نفسه في حجرة أخرى مظلمة عدا نافذة في الجدار.. تصبب منه العرق ، وهو يصعد إلى أعلى قليلا ويستدير بجسمه قدر استطاعته وألقى جسده بالعرض مرة أخرى ، متعلقا بحافة النافذة التي ارتطم بها على رسغيه.. وشعر بذراعه تكاد تنقطع من جرَّاء صدمة الارتطام المفاجئ.. وباضطراب تشبث بنتوءات بارزة في الحائط ، فتكسرت أظافره المسحوبة..
وأخيرا سقط على الأرض.

* * *

obeikan.com

البنات يرتمين عليَّ.. لكن موقفي هذا لا يبعث على الزهو مطلقا ولا على الحسد..
كنت أرى الموت يطل من عيونهن الباردة الجامدة.. وخنجر واحدة منهن يتجه نحو كتفي ، وآخر نحو عنقي.. وثالث يكاد ينهش صدري.. وكانت لكماتي هذه المرة أعنف من ذي قبل.. فسقطت البنات فاقدات للوعي..
والآن ، عليَّ أن أهرب.. سأعود من الشق الصخري ذاته..
لكني وجدت الصخور قد التحمت.. في اللحظة نفسها التي سمعت فيها - من خلفي - فحيحا مرعبا.. واستدرت في حدة لأجده أمامي..
(الكراكون)..

* * *

وقع ثقل جسم (شريف) على أعلى كتفه اليسرى في سقطة كادت تخلع ذراعه من تجويف كتفه.. كان يعض على شفتيه وهو يستند على الأرض بكلتا راحتيه.. وبعد ثلاث ثوانٍ استطاع أن يقف وهو يتنفس في صعوبة.. ورأى كابوسا فظيعا.. جسد الثور ، رأس الأسد، وجه الإنسان.. شراسة النمر.. (أبو الهول) نفسه صار كائنا حيا بالغ الضخامة ارتفع على قائمتيه الخلفيتين.. وأطلق زمجرة مضيفة ، ثم تحفّز وأخذ وضع الاستعداد للانقضاض ، وزأر في وحشية.. جفل (شريف) لحظة.. لكنه أدرك حقيقة أمره.. فتناول حجرا ضخما ولوَّح به متوعدا.. لكن الوحش وثب نحوه في قوة.. وعندما رآه (شريف) انطلق يعدو مبتعدا.. لكن الوحش أدركه وقفز فوقه.. وشرع يعابث عنقه بمخالبه ممزقا قميصه - قميص (شريف) طبعا وليس الوحش - وأخذ (شريف) يضرب رأس (أبو الهول) بالحجر في ضربات متوالية.. حتى تركه الوحش لحظة.. لحظة كانت كافية ليواصل عدوه.. لكن الوحش كان يقطع في كل خطوة عدة أمتار.. انظر يا (شريف).. إن هذا الجزء من الرمال يبدو ناعما مستويا إلى حد يثير السعادة.. فلِمَ لا؟ الفكرة جيدة..

انطلق يعدو نحو هذا الجزء الناعم ، وكان الوحش خلفه.. حتى إذا وصل إليه أخذ منحنى آخر في عدوه.. على حين استمر الأحمق العملاق و... وسقط في بحر الرمال المتحركة.. سقط (شريف) فاقد الوعي.. سقط في بحر الظلام..

* * *

فرد الظلام ملاءته السوداء على الكون..
(الكراكون) سيلتهم (أندروميدا)..
وفي كهفه كان هذا التنين الشره يستعد لتناول ضحيته..
في الخارج كان (برثيوس) غارقا في بحر الحيرة..
كيف يقتل التنين؟ هو يسمع زئيره ؛ إذ يقف على مدخل الكهف.. لكن..
أولا : كيف يدخل الكهف ليغمد سيفه في رأس التنين؟
ثانيا: كيف يدخل الكهف وفي يده السيف دون أن يثير هذا ريبة (الكراكون)؟
ثالثا: لن يستطيع هذا السيف أن يخترق جلد التنين السميك؟
رابعا - وهذا أسوأ ما في الأمر -: أن (برثيوس) لا يمتلك سيفا من أساسه.

obeikan.com

عاد أدراجه وتساءل:
- ماذا أفعل؟
فيجيبونه:
- لا يوجد سوى حل واحد.
فيسأل:
- ماذا؟
فيجيبون:
- (ميدوسا)..
يحك رأسه في حيرة ويغمغم:
- ومن (ميدوسا) هذا؟

* * *

.. تقول الأسطورة: إنه وبعد انتشار النساء في الكون.. كانت هنالك (الجرجونات الثلاث).. وهن ثلاث فتيات سيئات الخلق.. وبينهن كانت (ميدوسا).. وهي أكثرهن انحلالا ، تعرفون - بالطبع - ما معنى هذا؟ من ثَمَّ أثرن حنق (زيوس) - وهو إله عصبي جاهز - فاستعان بأحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا العصر، ليحولهن إلى ثلاثة أجساد نحاسية.. بينما

obeikan.com

أبقى الرءوس حية - لكنها أبشع من النحاس - فأصبح الوجه وجه قرد واللسان لسان أفعى والشعر هو مستعمرة ثعابين جائعة - كما رأيناه جميعا في فيلم (صراع المردة) - ونفاهن (زيوس) إلى كهف مهجور في جزيرة (كريت).. وهنالك عشن حياة أبشع من ملامحهن.. كن ينظرن إلى الحياة وكأنها سوداء تماما - وهذه ليست بلاغة أدبية – فـ(زيوس) قبل أن ينفيهن أصابهن بالعمى مدى الحياة.. لكن الفاجرة (ميدوسا) استطاعت خداعه - ولا نعرف كيف - فاحتفظت بعينيها..

وهذه هي الطامة الكبرى.. لقد حوَّل (زيوس) شعرهن - أي الجرجونات - إلى ثعابين جائعة تتلوى في كل اتجاه.. من ثَمَّ لا يقترب أحد منهن خشية لدغة الأفاعي ذات الفحيح.. لكن تلك الحيات كانت بالنسبة لـ(ميدوسا) خط دفاع ثانيا.. أما الأول فهو عيناها - كما شاهدتم في الفيلم المذكور - إن نظرة واحدة من عينيها كافية لأن تحوِّل من ينظر إليها إلى تمثال من الملح.

ملحوظة : ثمة أشعة تنطلق من عيني (ميدوسا).. هذه الأشعة تصيب الإنسان بالشلل على الفور..

فبادروا بتطعيم أطفالكم!

* * *

وكانت (ميدوسا) هي الحل السعيد لـ(برثيوس)..

- يجب أن تقطع رأسها يا (برثيوس)..

فيسأل:

- لماذا؟

يهتفون في دهشة:

- لماذا؟ لتجعل التنين يراها بالطبع.. وتنقذ (أندروميدا).

يقول:

- لكن.. هي - أعني (ميدوسا) - لن توافق على المجيء معي.. هذه وظيفتها على ما أعتقد!

يرددون في سآمة :

- دعك من هذا.. لقد حاول الكثيرون قبلك الاستعانة بها في خدمات مماثلة.. وها هم الآن يكوِّنون متحف (ميدوسا) للتماثيل الحجرية..

يسأل:

- لكن.. الأسلحة؟!

فيتبسمون قائلين في خبث:

- هذه ليست مشكلة!

obeikan.com

* * *

في زيارة عائلية لمنزل (هرمز) - إله إغريقي ما - كان (برثيوس) يشرب الشاي على الأنغام الهادئة ، شارحا مشكلته.. لقد كان هذا هو الملاذ الوحيد.. (هرمز) هو أكثر الآلهة دهاء وامتلاكا لأسلحة تبعث الاطمئنان في قلب من يمتلكها.. وكانت مشكلته عنيفة بعض الشيء..

- لكنها ليست مستحيلة يا بني.

قالها العجوز الإغريقي وهو يفتح خزانته ويناوله من داخلها بعض الأشياء الطريفة.

- ما هذا يا سيدي؟!

هكذا يسأل (برثيوس) متظاهرا بالبراءة..

هذه الأشياء هي سيف عملاق لا يضرب إلا ويصيب كأنه صاروخ يحوي مجسات حرارية.. والقلادة التي تجلب الحظ.. ثم الدرع البرّاقة التي تعكس كل شيء على سطحها كأنها مرآة..

أخذ (برثيوس) هذه الأشياء مبتسما في امتنان ، محاولا إخفاء خيبة أمله.. لكنه على كل حال كان يعرف أنهم ضمن أسطورة قديمة وليس من المفترض أن يعتقد أنه سيحصل على مدرعات ومدافع هاون..

obeikandl.com

فحتى حروب طروادة لم تخبر هذه الأشياء بعد..

* * *

وهكذا.. يدخل (برثيوس) كهف (ميدوسا) وأختيها مع رفيق تعس أصر على أن يأتي معه.. تشعر (ميدوسا) - هذه الداهية - بوجود رجال بالكهف.. لكنها تعرف أنها قبيحة كقرد - بل هي قرد بالفعل - إذًا فليس من صواب الظن التخمين بأن القادم هو رجل جاء ليطلب يدها.. لهذا كانت حذرة وهي تصيح..

- من هناك؟

يأتيها صوت (برثيوس) - الذي حاول أن يجعله صارما -:

- إنه أنا أيتها الدميمة.. (برثيوس).. جئت طالبا رأسك.

إذًا فالقادم ليس بصدد طلب يدها.. والفارق بين يدها ورأسها شاسع.. فالأولى تعني الاستقرار.. أما الثانية فتعني الـ... تبتلع (ميدوسا) ريقها في رعب.. لكنها تعرف أن لعينيها نظرة ساحرة.. وهنا تتقدم في ثقة ، ويرفع بطلنا الدرع اللامعة على وجهه ، فترمقه وصديقه بنظرة لم يقاوم هذا الأخير جاذبيتها فيسقط متحولا إلى تمثال من الملح ضمن

مجموعة تماثيل (كهف ميدوسا).. وتقول الأسطورة إن شيئا لم يحدث لـ(برثيوس).. بل لـ(ميدوسا)؟
لقد رأت وجهها - وهي تقترب منه - في الدرع اللامعة.. وبالتالي رأت عينيها.. فتحولت بدورها إلى تمثال من الرخام البارد.. وقطع رأسها الذي ظل حيا لسبب ما.. ليأخذه بطلنا وكله فخر بما أنجز..

* * *

كانت (أندروميدا) تصرخ في رعب.. وكان التنين الشره (كراكون) يهم بالتهامها عندما...
- جئتك أيها المفجوع..
كان (برثيوس) يقف على باب الكهف.. فيلتفت التنين - ذلك المعتوه - إليه.. وينظر.. ونظرة واحدة تكفي لتلتقي عيناه عيني (ميدوسا) - أو بالأحرى رأسها الذي كان في يد (برثيوس) الذي كان يرتجف من فكرة أن يستبد بـ(أندروميدا) الفضول فتنظر هي الأخرى.. وتحول الوحش إلى تمثال من الملح..
وكما هو الحال دائما.. حرر (برثيوس) حبيبته وتزوجا وعاشا سعيدين - عدا بعض المشكلات الطفيفة مع حماته

obeikan.com

(كاثيوبيا).. التي استطاع كسب ودها.. وبقي سؤال واحد : ماذا يفعل بالرأس؟! إنه لن يخاطر بالاحتفاظ به ، أيًّا ما كانت الذكرى السعيدة التي يحملها له.. فاصطحب زوجته إلى حفل عائلي في منزل (زيوس) ليبارك له طلاقه من (ريا) وزواجه من (هيرا) الفاتنة.. وبدلا من أن يأخذ معه علبة شيكولاتة كالمعتاد ، أهدى مدام (هيرا) الرأس ليساعدها في التخلص من أعدائها.. ولم ينسَ في النهاية أن يعيد الهدايا التي حصل عليها - شاكرًا - من (هرمز)..

مرة أخرى نغلق كتب الأساطير..

وهذه المرة سنُلقي بالحقيقة خلف ظهورنا هي الأخرى..

ولنتطلع إلى ما هو أسوأ من أي حقيقة..

* * *

١٠- الأسطورة الحية

بدا التنين الهائل كالجبل ، مرعبا بجسده البني الداكن ، ذي النتوءات الضخمة ، ورأسه العملاق وأنيابه المخيفة.. وكأي تنين يتقن عمله ، كان ينفث لهبا..

انطلق لسان النار من حلقه كقاذفة اللهب نحوي.. لكنها أخطأتني – بالطبع - وتوقف وراح يحدق فيَّ بعينيه الصفراوين اللامعتين.. قفزت جانبا في اللحظة التي انطلق فيها لسان النار مرة أخرى.. أطلق فحيحا هائلا - كأنما إفلاتي منه على هذا النحو قد أثار حنقه.. أدار عينيه نحوي.. وأخذت أفكر: لو أن ألسنة اللهب التي يطلقها بالقوة التي أتوقعها فسيكون هو سبب خروجي من هنا.. فلنختبر هذا.. وقفت أمامه منتظرا سيل النيران.. وقام بعمله.. نفث اللهيب.. وتراجعت أنا لأعايش نهر الحمم هذا على الجدران الصخرية الداخلية للكهف..

للأسف.. على الرغم من شدة النيران.. فإنها تصيب الحوائط

ولا تخترقها.. أخذ عقلي يعمل في سرعة.. هنالك طريقة واحدة للخروج من هنا.. مثلما فعلت مع الديناصور الأبله.. هل تذكرون؟

أسرعت أعدو في خطوات قليلة ، حتى إذا وصلت إلى الباب الصخري للكهف ، استندت بظهري عليه ورمقت التنين في ملل كأنني أقول : هيا يا بني.. قم بعملك.. لا وقت لديَّ .

أما التنين المخلص فأدار رأسه نحوي.. وقرر أن يندفع نحوي.. أظنه قد يئس من استعمال النيران.. أو أن ذخيرته قد فرغت.. أو أن أحدا لم يشحنه هذا الصباح.. هي خطوات ثلاث.. واندفع نحوي كشاحنة أصيبت فراملها بعطب.. وفي الحركة ذاتها أندفع جانبا.. ويصطدم هو بباب الكهف الصخري فيفتحه ويتجاوزه ليسقط على الجانب الآخر في غيبوبة طويلة.. تنفست الصعداء في سعادة وأنا أغادر الكهف الذي غمره الضوء الخارجي.. القادم من هذا الطريق البدائي.. رمقت التنين النائم في شماتة قائلا :

- يا لك من أحمق.. منذ لحظات كنت سيد كهفك.. أما الآن.. فلست إلا.. (كراكون في الشارع).

العالم النقي مرة أخرى.. الأغصان تتراقص تحت الشمس.. والكهف الكئيب.. وهذا النهر الصغير تتألق مياهه تحت

الضوء.. ترى أي خطر قادم الآن؟ لقد اعتدت هذا الصراع.. الصراع الذي لا أدري لماذا أنا أحد أطرافه.. تبًّا لهذا الشيطان! ألا يمنحني لحظة واحدة لاستنشاق الهواء.. كل وحش في ذيله وحش.. كل لعنة وراءها لعنة.. الأسطورة لا تنتهي إلا بعد أن تتأكد من أن القادمة أشنع منها.. هذا الشيطان يجيد اللعب في ساحته الكابوسية هذه.. يعرف جيدا كيف يحرك مسوخه وخرافاته.. في عالم لا تتوقع له وجودا ولا سببا.. عالم الأساطير الذي لا يعني سوى أكاذيب وجنون من وراء العقل.. وحكايات لا أساس لها.. إن هي إلا أوهام تصطرع وتصطدم إلى الأبد.. وبلا هدف..

أعلم أن كل هذا وهم.. لكنه حقيقة قاتلة.. لست أدري كيف أوضح هذا؟ إنه كالحلم.. عالم غريب لا يعترف بالقوانين.. تحارب فيه وتروح وتجيء.. تحب وتقتل.. ثم تصحو غارقا في بحر من العرق.. ولا شيء أكثر من هذا.. فهل أستيقظ من هذا الكابوس؟ لكني لست نائما.. أنا حي وأعضائي لها حرية الحركة ؛ لذا فليس من الصواب اعتقادي أن هذا كله سينتهي فجأة.. ما دام حقيقة.. فسوف أصارع وأقاتل وأقاوم.. كيف؟ لست أدري.. لكن يجب أن أفعل هذا كله ، حتى تأتي النهاية

وحدها..
وسأرضى بها أيا ما كانت.. بشرط ألا تكون نهايتي أنا!

* * *

لقد صار الأمر وحشيا.. إن كل شيء هادئ.. لكنه يثير الهلع.. ثمة شيء يقول لي إن كارثة آتية لا ريب.. هذا الشيطان لا يتركني فريسة للوحوش.. حتى إذا انتصرت عليها يهنئني على شجاعتي ويتركني في هدوء.. كلا.. إنه يسعى لإرهاقي ليقتنص روحي في ثقة.. لكن من الذي يرهَق من الدفاع عن حياته؟ لست بطلا أسطوريا.. ولا مقاتلا لا يشق له الغبار - كما اعتقدتم بعد صراعي مع الديناصور والبنات والتنين - إن هذه المسوخ بلهاء ، كما رأيتم ، وهذا ذنبهم لا ذنبي.. ثم إن مقاومة الإنسان للدفاع عن روحه تجعله بطلا رغما عن أنفه.. إن هذه الطبيعة حولي توشك أن تكون هادئة.. لكنها تثير الحيرة.. شيء ما يحدثني أنها نشطة.. ماكرة.. مصابة بذعر غير عادي.. فما معنى هذا؟

تحدٍّ جديد.. وقتال آخر.. أعلم هذا.. فليأتِ سريعا إذًا.. إن هذا يثير السآمة.. ظلال الأشجار خلفي تترنح أمامي على الأرض.. تروح وتجيء.. لكن ظلا جاء ولم يذهب.. ما هذا؟

هل تصلَّبت الشجرة في الهواء؟ ثم إنها شجرة عجيبة جدا.. إنها أصغر مما ينبغي.. تبدو كجسد إنسان.. نعم.. جسد امرأة.. جسد امرأة؟ هذا غريب.. لكنه صحيح.. وكان الوجه - كما في ظله - شديد النحافة.. يا لعقلي المذعور.. إنه يتخيل الجماد كائنات حية.. ولِمَ لا؟ إن هذا مسلٍّ.. تأمل معي هذا الظل.. تخيله كجسد.. جسد هزيل.. كأنها قد قُدت من النحاس.. وهذا الرأس غير المصفف بعناية الذي يبدو وكأنه جحيم من أفاعٍ سامة و...

جسد من النحاس؟ ورأس به أفاعٍ سامة؟! ما هذه الأوصاف؟ ثمة سؤال مرعب يجول برأسي.. وسأموت لو لم أجد إجابة عليه.. وبسرعة.. الأسطورة قالت إن (الكراكون) رأى رأس (ميدوسا) فسقط مشلولا - إلى ما عرفته منذ قليل - وتأتي نهاية هذا الرأس عندما يرى عينيه في درع براقة لأحد أعداء (هيرا) - مالكة الرأس بعد (برثيوس) - من ثم يتحجر - الرأس لا برثيوس - ويفنى كأي كتلة حجرية لا معنى لها.

لكن التنين ما زال حيا - كما وجدته - إذًا فهو لم يرَ الرأس - إذًا فـ(برثيوس) لم يأت به إلى هنا.. وربما لم يفصله عن الجسد من أصله.. إذًا.. هذا الظل أمامي لجسد (ميدوسا).. خلفي..

* * *

(ميدوسا) خلفي..

الأمر لا يحتمل التخمين.. لن التفتُ لأتيقن.. هي نظرة واحدة.. بعدها.. صحيح أن الدين والعلم ينفيان هذا الهراء عن الأجساد الملحية المتحجرة والأشعة التي تنطلق من العيون.. لكن لن ألتفت ؛ لأن هناك شيئا اسمه : الرعب.. الرعب والخوف من أن تكون أي أسطورة حقيقية.. أن يكون للأشباح والغيلان وجود.. وما أدراني أنه عكس ذلك؟

لقد رأيت ملك الصواعق (تيفون) وكهف القرابين الوثنية.. والعالم حين تقول الأسطورة إنه بدأ.. فما المانع أن هذه هي (ميدرسا) حقا ومعها نظرتها الفاتنة؟ إننا نموت في الكوابيس بمنطق الكوابيس! العلم يؤكد أن أشعة (ميدوسا) هي مستحيل لا يمكن تحقيقه.. لكني لو ألتفت لأجدها حقيقة.. فلن يفيدني هذا التصديق بشيء .

يجب ألا أستسلم للرعب.. أخذ عقلي يعمل في جنون حتى تمزقت كل أسلاكه.. لا تعتقد أنني عبقري.. إن المرء حين يبحث عن طريق للنجاة لا يعد ما يفعله مستحيلا.. حيث تشعر بأن شيطانة مثل (ميدوسا) خلفك.. فإنك ستعدو بكل قوتك إلى الأمام - كما فعلت أنا - متحاشيا التعثر في الأحجار

الصغيرة التي تملأ المكان..
لكن.. إلى أين؟ أمامك النهر.. لا تجزع - كما فعلت أنا - خاصة أن ظل (ميدوسا) يقترب نحوي.. حذارِ من الالتفات لأي سبب.. حذارِ.. كيف تقنع تلك اللعينة بالابتعاد؟ والأسوأ ، كيف تقاوم شخصا دون أن تراه؟ حتى لو حاولت استغلال ميزة الشعور بالمكان فلن أنجح.. الأمر لا يحتمل التجربة.. لكنك لو كنت مكاني فستفكر في نهاية (ميدوسا) الأسطورية.. وستعرف - كما عرفت أنا - أن (ميدوسا) رأت انعكاس وجهها البديع فتحجرت..
وستبحث - كما بحثت أنا - عن مرآة أو ما شابه في هذا المكان.. فلن تجد - كما لم أجد أنا - فلا تندب حظك.. فكِّر بسرعة في شيء يصلح كمرآة.. الأمر لا يحتاج إلى ذكاء.. ها هو أمامك.. النهر.. سِر - كما سرت أنا - في بطء.. بطء حذر ثابت الخطوات.. إن (ميدوسا) تتبعك كظلك.. كلا أيها المعتوه.. لست جذابا كما تعتقد.. فقط اقترب من النهر.. هل اقتربت؟ عظيم..
هل تجيد السباحة؟ كلا.. ولا أنا.. لا بد من الغوص هنا.. هوِّن عليك.. دقائق فحسب.. هل أنت مستعد؟ اقفز إذًا..

وقفزت.. طبعا الآنسة (ميدوسا) تتساءل الآن : أين ذهب العاشق الخجول؟ فترتكب أكبر خطيئة في حياتها.. وآخرها.. تنظر إلى النهر ؛ حيث سقط المحب المتردد.. تنظر إلى عينيها.. بعد ذلك أنت تعرف ما حدث.. ما زلت تحت الماء كاتما أنفاسي.. هل أخرج الآن؟ ماذا لو أنها لم تمُت بعدُ؟ ماذا لو أن النهر لا يصنع انعكاسا؟ ماذا لو أنه يمتص تلك الأشعة الشيطانية؟ ماذا لو..؟ لا وقت لمزيد من الأسئلة.. لا يمكنني البقاء هنا في انتظار أن تتحجر هذه السخيفة المنحلة.. وإلا مت مخنوقا..

أمسكت أنفي بكفي وخرجت ، مغمض العينين طبعا.. الحذر.. الحذر.. تشبثت بطرف الشاطئ وصعدت غارقا في المياه.. هل انتهت؟ هل رحلت؟ بدأت أتقدم خطوات للأمام متجاهلا الكارثة المتمثلة في أن أفتح عيني لأي سبب.. فجأة.. تعثرت في نتوء بارز من الأرض.. حاولت الاتزان.. لم أستطع.. فسقطت.. ما من ثمة شيء يثبت بقاء (ميدوسا).. وما من شيء يثبت العكس.. فلأجازف..

فتحت عينيَّ متوقعا أن أجد عينين تتقدان بالنيران.. ثم أتحول إلى تمثال رخامي بعدها..

لكن شيئا من هذا لم يحدث..
لقد رأيت ما أثلج قلبي : تمثال حجري أبيض لامرأة - مهشَّم بالطبع - ورأس رخامي بشعيرات ثعبانية - تحطم معظمها - يا للسعادة.. لكني مرهق.. مرهق.. حتى ليخيَّل لي أن باب الكهف الصخري يفتح من جديد.. ربما كانت أعصابي المنهكة هي التي صوَّرت لي هذا.. لكنه ليس خداعا بصريا ؛ فأنا أسمع صوت الصخور تنشق.. ماذا حدث؟ يا للعنة.. لقد أفاقت البنات من غيبوبتهن.. وفي هذه المرة أبدلن بالخناجر حرابا طويلة مخيفة الشكل.. أسرعن نحوي مصوبات رماحهن نحو صدري..
لكني منهك.. منهك.. وبين هذه النمرات الشرسات سقطت.. في غيبوبة طويلة سقطت.. في بحر الظلام الأسود.. سقطت..

* * *

هنالك شخص تناسينا أمره..

(شريف)..

لقد تركناه يسقط في غيبوبة كثيفة في المرة الأخيرة.. وعندما استيقظ وجد المعبد الفرعوني القبيح ذاته.. الكهنة ذاتهم بحركاتهم الصامتة المملة.. العازفين ذاتهم بطبولهم.. الفتيات ذاتهن بملابس الحداد.. والمعبد ذاته بنقوشه المكررة ، وعبارات التحذير المثيرة للهلع.. والمنصة ذاتها للجثة ذاتها.. مع اختلاف بسيط هذه المرة..

كان (شريف) هو هذه الجثة.. كان حيا.. لكنه راقد فوق المنصة الرخامية.. والكاهن الأكبر يشق الهواء بسكينه الضخم ليخرج أحشاء الجثة الحية..

ارتد رأس (شريف) - لهول ما رأى - للخلف، فاصطدم بالمنصة الباردة.. وفقد الوعي..

* * *

هنالك من نسينا أمرهم.. هل تذكرون؟ السحب السوداء تملأ الصالة.. وما زالت تتكاثف عندما ارتفع في المكان طنين غريب.. كأنه صوت ألف خلية نحل.. عندما انطلقت الصرخة.. صار من المستحيل أن يرى أحدنا الآخر.. سيحارب الشيطان كلا منا وحده..

انطلقت ريح عاتية نحو (نهلة) أجبرت جسدها على الاندفاع عبر باب المطبخ.. وهنالك حاولت التشبث بشيء ما.. لكنها سقطت بهذا الشيء على الأرض عندما.. عندما رأت المكان يتبدّل..

مساحة المطبخ تتسع.. والأشياء تبتعد حتى تفقد أثرها تماما.. فجأة.. الجليد الأبيض العدمي يملأ المكان.. وتصفر الريح في خلاء بارد لعين..

ذلك كان عندما رأته أمامها.. فصرخت من كل قلبها!

* * *

obeikan.com

المحتويات

مقدمة ٧

القسم الأول
تحت الأنقاض

الخوف ١١
مشكلة ٢٣
كابوس ٣٩
الجحيم ٥١

القسم الثانى
حارس مملكة الظلام

ربما يعود ٥٩
اللهب ٦٧
هكذا تقول الأسطورة ٧٥

obeikan.com

القسم الثالث

نار ودخان وملامح إغريقية

وأية حقيقة	٨٧
البنات	١٠٣
الأسطورة الحية	١٢١

obeikan.com

تم الجزء الأول بحمد الله ويليه الجزء الثاني

(المذبحة)

د. هاني حجاج
Hany_haggag@hotmail.com

obeikan.com